الأسبوع الأدبي

www.awu. sy

"السنة الثلاثون" ـ العدد: "1431" 15/3/2015م - 23جمادى الأولى 1436هـ

24 صفحة

25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

اللغة العربية والعولمة

داعش والآثار السورية

النقب.. فصل مصر عن بلاد الشام

السرد في القصة القصيرة

شعريّة اللون التّناصّات اللّونيّة.. الشّعريّة والموروث

توماس هاردي.. الكاتب الذي.. لم يهزم!

مغامرات الجسد الحنونة؟!

الذكرى الثانية والخمسون لثورة الثامن من آذار

(آذار) للفنان د.محمد غنوم

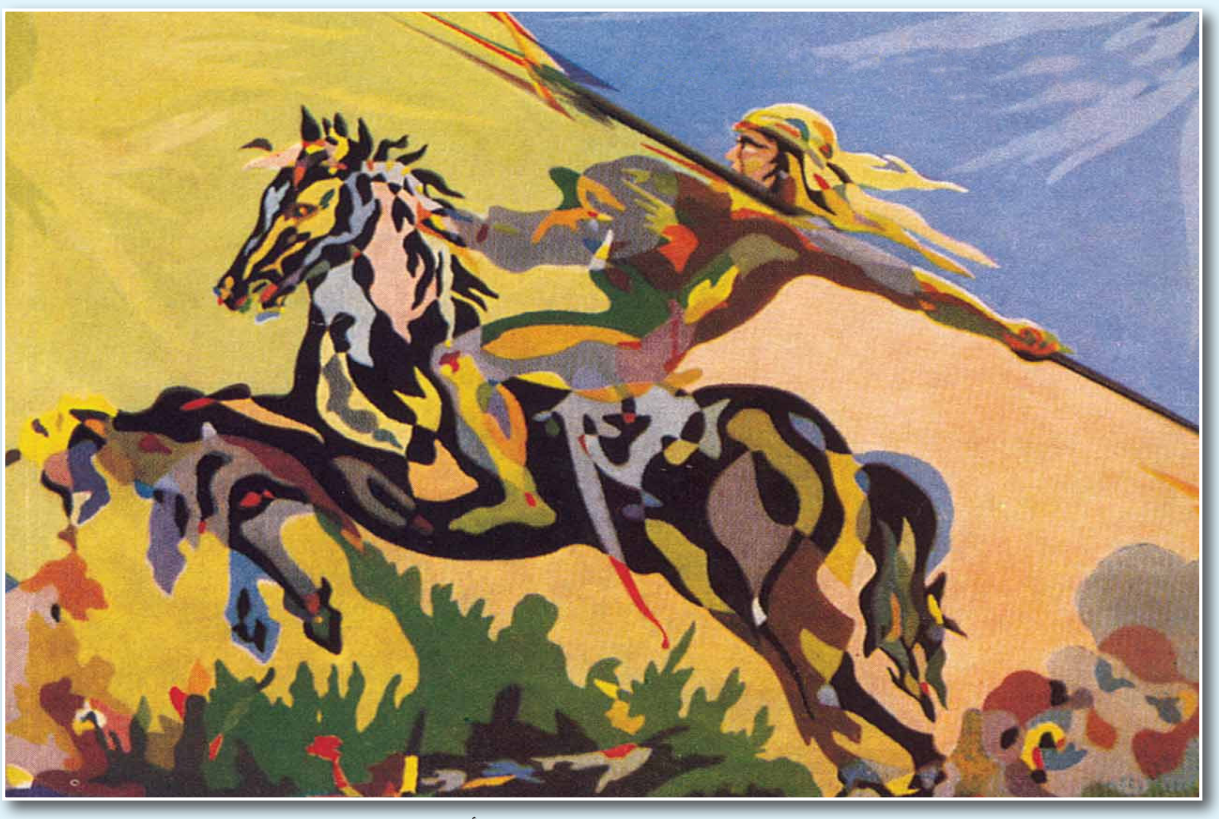

لوحة (الفارس العربي) للفنان الراحل أدهم اسماعيل

قراءة في مسرحية حارس المطخ لسمير مطرود

إلى جَنَّةٍ في الجحيم

حديث أبي

مغامرات الجسد الحنونة؟!

• حسين عبد الكريم

قال أحدهم، وهو فهيم في طهي الأطعمة وإنجاز (القهوة السادة) وغلي الشاي والتفكُّر بأحوال أولاده وزوجته والتساؤل عن بستانه الشتوي والصيفي: قد يخطئ الجسد في الكثير من المغامرات: يتكلم، يسقط في الهوّة، بدل السفر إلى المنتزه!! وقد يهرم قبل أن يشبّ على الطوق؟! قد يكره دون المرور على الحبّ؟! قد يتقهقر قبل الازدهار؟! قد يسافر في فخ عاصفة هوجاء، ولا يجد ممرّاً آمناً إلى عاطفة تُورق وتُزهر.. قدر المغامرات مزاجي.. ويزداد مزاجية، حين يستفيد الجسد أكثر من معلومات الرّوح وثقافة الزهو والفهم...

عقل الجسد وعواطفه وحواسه على علاقة وثيقة بالتأملات والأفكار الإنسانية، أو على علاقة سيّئة أو جيّدة بالوحشية والجريمة والأذىوالتفاهات؟!

هنا تكمن المشكلة والمسألة والأوجاع والمحاسن والأفراح: أن العديد من الانحطاطات والأوهام القبيحة نجد لها الفرصة، ونُكبِّرها على حساب إنسانيتناوأعالي الأفكار.. وننسى أن نبدي آراءً جميلة أمام نفوسنا؟!..

الحبيبة فنّ المغامرة الأرقى على حساب القطيعة.. القُبلة الصافية أو القريبة من الصافية أحن من أيّة إنجازات أخرى تُصيب الآخر بالدونية وتصيب ذواتنا بالهزيمة: هزائمنا تُشير إلى فقرنا، الذي نريده فقراً، ونتركه فقراً، ونحيطه بالفقر والهروب إلى الوحل بدل الصعود إلى أناقة الترابات..

المصافحات التي نحملها من حارات الأصابع، لعلّها إحدى مغامرات الأيدي، التائهة بين موسيقا الدهشة ورغبة الإصغاء..

الأمّهات يحتمين بأقواس العواطف، ليسمحن للعرائش أن تُنجب العناقيد.. في عزِّ الفقد والأقدار الصاعقة تصعد الأمُّ إلى حنينها، وترمق الوجع من نافذة حواسها الحنونة، كي يكون بوسعها أن تُهدي جسدها حناناً وارفاً..

الصديقة التي أرّقها حديث الهواتف والاتصالات المغرضة، أي الباحثة عن الأغراض والحاجات خارج وعي الروح وتنفّسها الجميل؟!

ثلاثون عاماً من العشق والعواطف الجميلة، هل تكفي؟!..

الزمن ليس بالامتداد والاتساع بقدر ماهو بالعواطف والتعالقات المبشِّرة بالألفة؟!

مغامرات الجسد إنسانية أو ميّتةٌ ومهلكة.. مغامرات بالمفرد، وليست بالجملة.. باللحظة وليست بالأزمنة الطويلة..

الدَّمعة مغامرة العينين في أوج الأحزان.. وأحياناً.. تغدو الدمعات بصلاحيات الضحكات والأفراح..

المفارقة في نوعية المغامرة ومقدرة أجسادنا على صداقة الأرواح وخطف البروق والشروق وهزيمة العتمة الضاربة... العتمات الضارية هي الحاقدة على أنوار الذوات الإنسانية؟!...

ويوماً إثر يوم تُفكِّر (العتمات الحضارية الكاذبة) بقتل هامش الضوء وشروحات الألق الإنساني الباذخ...

لابُدَّ من الاعتداء على مغامراتنا التعيسة لصالح مغامراتنا الحنونة.. ولا غنى عن بصيص ضوء القناعات والجسد.. وبصيص أمل الخلاصات والجسد...

(آلة العيش صحّة وشبابٌ
فإنَّ همّا وليا عن المرء ولّى).

الجسد آلة المغامرات الطروبة... ورأسمالية الروح.. واستثمارات الجسد كبيرة على قدر ما أمامه ولديه وحوله من إمكانات حبٍّ!؟!..

ثلاثون وثمانون عاماً وكوناً من المغامرات الأنيقة، التي يحشدها الجسد.. وتحشدها الحواس والأعصاب..

لابدَّ أن نحتمي بمغامراتنا الحنونة وكرامات الأعصاب والأحباب، مهما ازدحم وتنامى قدر الليل؟!....

ثقافة الشباب

• عيسى الشمّاس

ثمّة تساؤلات تثار حول ثقافة الشباب؛ ما طبيعة هذه الثقافة؟ وأين هي؟ ولماذا لم تعطَ الاهتمام اللازم؟ فثقافة الأطفال موجودة إلى حدّ ما، وثقافة الكبار موجودة إلى حدّ بعيد؛ ومن حقّ الشباب أن يجدوا إجابة لهذا التساؤلات؛ ومن واجب المعنيين والكتّاب أن يجيبوا عنها.

لا أحد يمكنه أن يتجاهل أنّ أحد جوانب الصراع الأساسية بين الأمم والمجتمعات المعاصرة، أصبح يدور حول الوجود والأصالة، والهوية الثقافية؛ وأشدّ ما يتمحور هذا الصراع على جيل الشباب، من أجل تعطيله وتحويله من طاقة إيجابية فاعلة إلى طاقة سلبية منفعلة، مسلوبة الهوية، لا دور لها في معركة البناء الاجتماعي والتقدّم الحضاري. وذلك من خلال توجّه قوى فكرية / ثقافية خارجية إلى فئات الشباب، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بما يؤدّي إلى التشويه والضياع، أو التمرّد واللامبالاة، وبذلك تكون خسارة الصراع فادحة.

وإذا كانت عملية التنشئة الاجتماعيّة بأبعادها التربوية، تعني إعداد الأجيال للإسهام الفعّال في إدارة المؤسسات الاجتماعية المختلفة، فإنّ ذلك بحاجة إلى تفعيل ثقافة المجتمع وإيصالها إلى الناشئة، بحيث يتمّ استيعابها وتمثّلها، وتحويلها إلى أنماط سلوكيّة نتفاعل مع عمليات التغيير والتطوير الاجتماعية، فيكتسب الفرد العضوية الاجتماعية، ويكون صورة من المجتمع الذي تشرّب ثقافته.

وهذا يقتضي الاهتمام بثقافة الشباب، بحيث تكون جزءاً أساسيّاً من ثقافة المجتمع، وهذا لا يعني أن تكون تصغيراً للثقافة العامة السائدة، وإنّما صورة عنها تتّسم بخصائصها ودلالاتها، وإن كانت لها خاصية معينة تناسب طبيعة الشرائح الشبابية، وتستجيب لاحتياجاتها المتنامية وتعبّر في الوقت نفسه عن طموحات الشباب وطريقة تفكيرهم في الحياة والعمل. فتتضمّن منظومة متكاملة من قيم الشباب ونظرتهم وحياتهم الآنية والمستقبلية، وإلى ذواتهم وإلى الآخرين الذين يشكلون وإياهم النسيج الاجتماعي والوطني.

وهنا تكون الثقافية الشبابية نسيجاً من الثقافة

البقية ص٢٣

كُتّابٌ و آراء

«تركيا أثبتت الآن رسمياً أن الولايات المتحدة الأمريكية و«إسرائيل» ليستا الوحيدتين اللتين تنتهكان بوقاحة سيادة الدول الأخرى وسورية على وجه الخصوص.، والعدوان التركي على الأراضي السورية تحت ستار حماية وتأمين قبر (سليمان شاه) هو مثالٌ حيٌّ على ذلك..»

ـ براندون توربيفل ـ
(كاتب أمريكي)

«دور المتطرفين واضح في سورية، وهو الإطاحة بالنظام العلماني فيها، من أجل ربط أوروبا بالغاز من الحلفاء الرئيسيين للولايات المتحدة في المنطقة أي قطر والسعودية، والولايات المتحدة قامت بدور مهم بنشوء تنظيم (داعش) الإرهابي، وما سمي بـ «الربيع العربي» تمت إثارته لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط، لصالح المجموعات المتطرفة التي تخدم المصالح الأمريكية في هذه المنطقة الحيوية من العالم..».

ـ سخر سيمين ـ
(كاتب ومحلل تشيكي)

«قطع العلاقات مع سورية جاء لخدمة المشروع (الأمريكي ـ الصهيوني ـ التركي ـ القطري) الهادف إلى محاصرة سورية، تمهيداً لاغتيالها تحت غطاء الديمقراطية وحقوق الإنسان، والقيادة التونسية الجديدة مدعوة إلى الإسراع بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع سورية وعدم التردد بهذه المسألة.

وسيكون لطول التردد والأيادي المرتعشة والقصور عن التقاط اللحظة التاريخية الملائمة لاتخاذ القرار الجريء والشجاع القاضي بتصحيح الخطأ وإعادة العلاقات مع سورية، أثر عكسي لأنه سيزيد في عزلة تونس ويضر بمصالحها الاقتصادية حين تضع الحرب أوزارها، وتحين ساعة إعادة البناء في سورية الشقيقة..»

ـ عبد المجيد الرياحي ـ
(كاتب تونسي)

«الحكومة البريطانية ستطالب «الإخوان» بالكشف عن شبكتهم الغامضة من الأتباع الموجودين داخل بريطانيا، بما في ذلك المساجد ووسائل الإعلام إلى جانب المؤسسات الخيرية وجماعات تنظيم الحملات..»

ـ فرانسيس اليوت ـ
(كاتب بريطاني)

«صمود سورية والتحامها مع المقاومة في لبنان وقيام تحالف روسي إيراني لدعم دمشق والتصدي لمنتجات الربيع الأسود ونجاة مصر من حكم الإخوان، يسهم في نشوء جدار مضاد للإمبريالية، ولذلك ذهبت واشنطن نحو الخيار الوهابي الإرهابي حتى منتهاه، لأن الإسلام الوهابي بكل أشكاله السياسية والإرهابية، أداة تسمح للإمبريالية بتحشيد دول وميليشيات لإشعال الفتن وشن العدوان على البلدان العربية المركزية مثل سورية والعراق ومصر بواسطة الميليشيات المدارة مباشرة أو عبر الثلاثي (تركيا والسعودية وقطر)..»

ـ ناهض حتّر ـ
(كاتب أردني)

كلمة
في ذكرى ثورة آذار

• علي دياب

جاءت ثورة الثامن من آذار قبل اثنتين وخمسين سنة في القطر العربي السوري منطلقة من فهم جملة من الظروف الداخلية والعربية والدولية، وبعد شهر واحد من ثورة البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي الشقيق، وشكّلت يومها الثورتان بداية ثورة فعلية على واقع التخلف والتجزئة المفروض على الأمة العربية، وبكل أسف انتكست ثورة شباط بعد أشهر عدّة، واستمرت ثورة آذار لتكون المثال الصحيح للدولة العربية في المستقبل المنشود، معبّرة عن تطلع الجماهير العربية إلى تحررها ونشدانها قيام المجتمع الجديد، المجتمع العربي المتقدم، ومضت الثورة في تحقيق برامجها المختلفة وعلى الصعد كافة، إلى أن تحولت إلى قوة يحسب لها ألف حساب، ولاسيّما بعد قيام الحركة التصحيحية عام١٩٧٠ بقيادة القائد المؤسس حافظ الأسد، والانفتاح الذي شهدته سورية على الصعيد العربي والدولي، فاستطاعت أن تتبوّأ موقع الدولة الفاعلة والمؤثرة في المنطقة وليست المنفعلة بالأحداث، وذلك لما تتمتع به من موقع جيوسياسي هام، ولم يعد بمقدور أحد أن يرسم خرائط جديدة لمشاريعه، دون أن يأخذ بعين الاعتبار موقف هذه الدولة الهام والأساس، وتتابعت الأحداث وخاصة بعد حرب تشرين التحريرية عام ثلاثة وسبعين وتسعمئة وألف، وماترتّب من مواقف بعد هذه الحرب التي أكدّ فيها القطر العربي السوري تشبثه بالمواقف الوطنية والقومية، وإصراره على الحل العادل والشامل للقضية الفلسطينية التي كانت ولاتزال القضية المركزية للأمة العربية، ضارباً عرض الحائط الدعوات لحلول استسلامية وانفرادية، وتحولت سورية إلى معقل للنضال ضد العدو الصهيوني ومن يدور في فلكه، وجسّدت مقولة أنّها قلب العروبة النابض، وتتابعت المواقف التي تؤكد صوابية الموقف القومي، ومواجهة كل السياسات التي تخدم العدو، الأمر الذي دفع الغرب للالتفاف على هذا القطر، والحؤول دون استمراره في موقفه الذي بدأ يستقطب الشارع ليس في سورية فحسب، وإنّما على امتداد ساحة الوطن العربي الكبير، إلا أنّ هذا الالتفاف كان يصطدم بقوة الحزب وثورته، والوحدة الوطنية المتينة التي استعصت على كلّ المحاولات التي لجأ إليها الغرب وعملاؤه داخل القطر وخارجه، وعلى مدار عقد من الزمن، ومع ذلك لم يمل هذا العدو من وضع مخططات التآمر والاستمرار في حبكها، وهذه المرة جاءت متماهية مع ماسمي «بالربيع العربي» حيث تمّ استهداف بعض الدول العربية الضعيفة حيث بدؤوا بتونس ومن ثم مصر وليبيا... واستطاعوا أن يحققوا ما سعوا إليه، وكانوا يهدفون من ذلك إلى هزّ ثقة الشارع العربي السوري في دولته ونظامه! وأنّ وضعه لن يكون أحسن حالاً من تلك التي انهارت ولم تقو على الصمود سوى أيام أو شهور معدودات، وبالفعل ترك ذلك أثره في بعض أبناء المجتمع متأثراً بما حصل لتلك الدول، وظنوا أنّ السقوط آتٍ لا ريب فيه!! فكانوا هم بالأصل مهزوزين، ولم يحسنوا قراءة الأحداث، فسقط الكثير منهم، وبعضهم تاب وعاد إلى صوابه في إطار سياسة المصالحات الوطنية، وتسامح الدولة مع كل من ضلل وانحرف، وأعلن عن رغبته في العودة إلى جادة الصواب، وبالتالي فدخلت الأزمة عامها الخامس، ولم يفلحوا في تحقيق ما رموا إليه، لأنّ أهداف ثورة آذار متجذّرة في أبنائها ولم يكن من السهل النيل منهم على غرار بقية الدول التي ذكرنا، ولكنّ الأمانة تقتضي أن نشير إلى أنّ هذه الأزمة تركت آثاراً سلبية لدى بعض مواطنينا وشبابنا، فوجدنا أنّ تغييراً ما أثّر في المفهوم القومي المستقر في ثقافة الشعب العربي السوري منذ منتصف القرن المنصرم، فثمة تفاوت وإعادة نظر في تلك المسلّمات، فالمواطن السوري كان يعدّ نفسه عربياً ومن ثم سورياً، وعندما يكتب جنسيته في أي استمارة يملؤها يكتب: عربي سوري، فالقضية الفلسطينية والقومية العربية كانت من أول اهتماماته، بينما نجد اليوم وللأسف الشديد أنّ حجم المؤامرة ودناءتها وتورط الكثير من الأنظمة العربية فيها، دفع بعضنا ليعيد النظر بالعروبة والقومية والقضية الفلسطينية وغيرها، وأنّ الهموم العربية لم تعد من أولوياته، وهذا ما هدف إليه عدونا وفي مقدمه العدو الصهيوني، ومن يدور في فلكه، فذهب بعضهم للقول: أي وحدة عربية تتحدثون عنها، فهي أصبحت شيئاً من الماضي، يتغنّى به لا أكثر، فما معنى الوحدة ونحن نشهد السعي لتقسيم المقسم، فالقطر العربي الواحد هو بالأصل استلّ من الجسد العربي الكامل، وبالتالي نقول لهؤلاء: إن إضاعتنا للبوصلة القومية وإصرار عدونا على المضي في مخططاته، هو الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه، وعدونا مصرّ في تركيزه على الجانب المذهبي، ووجد في أدواته الرخيصة، التي تسهم في تعميق هذا الشرخ من خلال ما تقوم به من أفعال وممارسات لا علاقة لها بالإسلام ولا بأي دين يمت بصلة للإنسانية أو لجنس البشر؟ وإنّنا نقول لبعض هؤلاء الذين ينكفئون عن مفاهيم القومية ويميلون إلى قطريتهم كردة فعل على سلوك بعض العرب، إنّنا بذلك نحقق لعدوّنا ما أراد، بل وعلى العكس هذا التآمر يجب أن يدفعنا إلى المزيد من التمسك بقوميتنا ووطنيتنا ومواجهة هذه التيارات المتصهينة التي تريد الشرّ بنا وبوجودنا، وبذلك نكون أكدّنا تمسكنا بنهج ثورة آذار وفكر حزبها الصحيح، فكر البعث العربي القومي الإنساني والاشتراكي، ولن نملّ النضال والكفاح إلى أن تتحقق أهدافه الكبرى في وحدته وحريته واشتراكيته.

أولى

• حسين جمعة

داعش والآثار السورية

لم يعد مجهولاً لأحد أن مستوى التوحش الإرهابي الذي قامت به عصابات داعش وجبهة النصرة وغيرهما قد فاق قدرة الإنسان على تصوره، أو احتمال أذاه. فمن منا ينسى ذلك المجرم (أبو شاكر؛ خالد الحمد) الذي ينتمي إلى كتيبة الفاروق من الجيش الحر، إذ كانت صدمة العالم به كبيرة حين ظهر في شريط فيديو في أيار (2012) وهو يستخرج أحشاء جندي سوري ويأكل كبده؟!! وهذا يؤكد أن العصابات الإرهابية جعلت منهج التوحش وسيلتها لإرهاب الناس، وإلا أصابهم ما أصاب ذلك الجندي الشهيد.. كانت تلك العصابات تجرهم إلى ممالأتهم ثم توريطهم بجرائم لم تكن تخطر في بالهم؛ فضلاً عن إغرائهم بالمال والثراء والوصول إلى السلطة. لقد تفنن الإرهابيون في جرائم القتل والذبح والتقطيع، وكلها تؤكد التفسخ الكارثي الذي ابتلي به المجتمع، وهي التي أعلنت للعالم أن هناك أزمات نفسية واجتماعية، مرضية وعصابية تسيطر عليهم... وأياً ما تكن تلك الأزمات والجرائم البشعة للإرهاب فقد أكدت فقدانها للقيمة الوجودية الإنسانية على كل مستوى وصعيد، وأثبتت أنها نتيجة فكر ملوث بكل السموم والأذيات؛ ما يعدُّ خطراً على الإنسانية جمعاء؛ فكر لم يفهم من الدين إلا الزيادة في الجهل والجهالة؛ والحمق والحماقة؛ لأن أصحابه لم يفهموا منه إلا ما يرونه مطابقاً لعصبيتهم وهم يحاجّون فيها الآخرين من دون علم أو فهم، في الوقت الذي يرون أنفسهم على حق؛ ومن ثم يحكمون على غيرهم بالانحراف العقلي، ...إن ما يقومون به يؤكد أنهم لم يدركوا أبعاد تغيُّر الدلالة التاريخية لأي توجيه ديني، ولم يستوعبوا كيف يتحول الوثن إلى أثر مملوك للأمة كما حصل في تدمير محتويات (متحف الموصل) يوم الخميس (26/2/2015م) حين أقدمت (داعش) على تحطيم (الأسد المجنح) وغيره...

وتخلص مما تقدم إلى أن الخطط الإرهابية التي وضعت لتحطيم تراث الأمة، وسرقة أموال الناس؛ والمؤسسات الحكومية التي وقعت تحت أيدي عناصرها؛ أو المواقع الأثرية والمتاحف الوطنية السورية كانت ترى فيها ما لا يراه أبناء الأمة من جهة، أو كنزاً لا ينفد من جهة أخرى؛ إذ جنت منه ملايين الدولارات والجنيهات حين أقدمت عصابات (داعش) و(النصرة) و(الجيش الحر) على سرقة كل ما وجدته في تلك المواقع والمتاحف والمساجد والكنائس والمكتبات حيث لم تترك عملة نقدية أو أختاماً أثرية، أو لُقىً أو لوحات فنية وتماثيل بديعة إلا نهبتها وباعتها لتجار من الخليج العربي؛ وجنى أولئك الإرهابيون الأرباح الطائلة منها حين باعوها لتجار في أستراليا والغرب، بل في دولة الكيان الصهيوني..

ونحن لا ندّعي زوراً على هؤلاء فقد أشار الكاتب البريطاني (نايجيل موريس) في صحيفة (الإندبندنت) إلى ذلك كله... على حين ذكر عضو البرلمان البريطاني (روبرت جينيرك) أن بعض العائلات المالكة في الخليج كانت حريصة على جمع تلك التحف المسروقة لولعها بدعم متاحفها، نظراً لفقرها؛ من جهة وتصميماً على ولعها بزيادة الثروة لديها من جهة ثانية. ولذلك لا عجب أن يتضمن قرار مجلس الأمن رقم (2199) الصادر بالإجماع وتحت البند السابع، بنداً يشير إلى موضوعات سرقة أو تهريب الآثار أو تخريبها بوصفها عملاً إرهابياً.. ونص ذلك القرار على أن «كل الدول الأعضاء ملزمة باتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع الاتجار بالممتلكات السورية والعراقية» وضمان إعادتها إلى بلدها الأصلي.

وإذا كانت هذه الأفعال الشائنة جزءاً من التوحش الإرهابي فإنها تؤكد فضلاً عن أسباب أخرى غير معلنة أن شن العدوان الهمجي على سورية منذ أربع سنوات كان بدافع قوي من بعض العائلات الخليجية وغيرها ولأهداف كثيرة، منها ما ذكرناه. وكذا نقوله في كثير من رجال الأعمال في تركيا وغيرها من دول المنطقة والعالم؛ إذ تجرأ الجميع على سرقة الآثار السورية والعراقية والاتجار بها بين الأردن والكيان الصهيوني. وإذا كان ذلك كذلك فإن سرقة الآثار والمتاحف كانت تهدف ـ فضلاً عن ذلك ـ إلى تشويه البنية الحضارية للهوية السورية بوصفها هوية ممتدة في التاريخ الإنساني. إنهم يريدون إسقاط تلك المقولة التي أطلقها مدير متحف اللوفر (الفرنسي) ذات يوم من أنه إذا كان لكل إنسان وطن فإن موطنه الثاني هو سورية؛ وكان يعني أن سورية تكتنز حضارة ممتدة في التاريخ الإنساني وفق ما تدل عليه الآثار العظيمة والمتنوعة ما يجعلها وطناً لكل إنسان.

لذلك كله فإن المؤامرة على سورية ذات وجوه عدَّة؛ أساسها إسقاط الدولة السوية؛ وإضعاف جيشها؛ وإفقارها ومنع تقدمها ونهوضها؛ وسرقة كنوزها الحضارية التي تتفاخر بها...

اللغة العربية والعولمة

• سهيل الملاذي

١-مكانة اللّغة العربيّة في الحضارة الإنسانيّة:

القرآن الكريم هو أول كتاب يدوّن باللّغة العربيّة. وفي العصر الأموي كانت بداية الترجمة والتدوين عند العرب، حين عمل خالد بن يزيد بن معاوية (صاحب أول مكتبة في الإسلام) على ترجمة العلوم، وخصوصاً الكيمياء (الصنعة). وفي العصر العباسي ازدهرت حركة الترجمة والتعريب والتأليف، وكان لدار الحكمة التي أنشأها المأمون في بغداد دور كبير في ذلك. كما انتشرت المكتبات العامة والخاصة، وكثرت حوانيت الوراقين، بحيث كان في بغداد وحدها في القرن الرابع الهجري ثلاثمئة حانوت للوراقة.

إن اللّغة العربيّة قادرة بطبيعتها على التطور واستيعاب العلوم والآداب والفنون، لما تتصف به من مرونة وإمكانات متمثلة في النحت والتوليد والاشتقاق والترجمة والتعريب، ومقدرة على التجاوب مع معطيات الحضارة الإنسانيّة، والتفاعل مع اللّغات والثقافات الأخرى تأثراً وتأثيراً. وهكذا دوّن بها نصف تاريخ العالم، وكانت حاضنة للتراث الحضاري العربي، ووعاء الثقافة العربيّة، ولغة مئات الآلاف من الكتب والمخطوطات في شتى صنوف المعرفة.

إنها ثرية بأصولها ومفرداتها وجذورها وعناصر الاشتقاق والنحو والصرف والشكل، إذ تحتوي على ثمانين ألفَ جذر لغوي، واثني عشر مليون كلمة.

وهي ليست مجموعة مفردات وتراكيب وصور ومعايير حياديّة، بل هي أيضاً وسيلة تفكير وأسلوب حياة لأصحابها، تتطور بتطور حياتهم ومشاعرهم وأفكارهم. فقد تفاعلت مع كل تطور وكل جديد وكل ثقافة وافدة واستوعبتها، حتى غدت منظومة حياة، ومنهج معرفة، وأسلوب تفكير وتعبير جمالي.

لقد نقلت العلوم والآداب والفلسفة عن اليونانيّة والسريانيّة والهنديّة والفارسيّة وغيرها، وانتقلت بها إلى الغرب عبر الأندلس، فقام المترجمون بنقلها إلى اللاتينيّة، وأصبحت مرجعاً للجامعات الأوربيّة إلى وقت قريب.

يقول إدوار سابير («اللغة العربيّة في عصر العولمة» –د. أحمد محمد الخطيب-مكتبة عبيكان بالرياض- طبعة٢: ٢٠٠٦):

«هناك خمس لغات فقط تشكل أهمية كبرى لنقل الحضارة، هي: الصينيّة القديمة والسنسكريتيّة والعربيّة والإغريقيّة واللاتينيّة،...وإنّ من المخيّب للظن أن التأثير الحضاري العام للّغة الإنكليزيّة لم يكن إلاّ تافهاً، فإنّ الإنكليزيّة نفسها ما كانت لتنتشر لولا أنّ الإنكليز استعمروا أعداداً هائلة من الأصقاع».

ويقول المستشرق الفرنسي إرنست رينان («اللغة العربيّة بين حماتها وخصومها»-أنور الجندي-مطبعة الرسالة ببيروت: ٢٥):

«من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حلُّ سرّه انتشار اللّغة الغربيّة، فقد كانت هذه اللّغة غير معروفة بادئ بدء، فبدت فجأة في غاية الكمال، سلسة أيّ سلاسة، غنيّة أيّ غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى».

وإذن فإن اللّغة العربيّة قد تعرضت للتآمر عليها من الاستعمار الغربي، الذي رأى في إضعافها أو القضاء عليها سبيلاً إلى القضاء على الروح القومية، وعلى مصدر من مصادر القوة التي من شأنها أن تكافح ضد الاستعمار، وتحافظ على الهوية، ومن هنا كانت محاولاته إحلال العامية محل اللّغة العربيّة الفصيحة، والدعوة إلى كتابة العربيّة بالحروف اللاتينيّة:

-وليم وكلوكس وخطابه في نادي الأزبكية بالقاهرة ١٩٩٣.

-ولمور أحد قضاة محكمة الاستئناف في مصر في كتاب ألفه عام ١٩٠١.

-محاولات فرنسا عبر استعمارها المغرب العربي (١٨٣٠-١٩٦٢) تحويل التعدد الاجتماعي في المغرب العربي إلى صراع ثقافي، من خلال إحياء لهجات محليّة ومنها الأمازيغيّة (الكونغرس الأمازيغي).

-وكانت آخر التحديات التي تواجه اللّغة العربيّة في هذا الزمن هو تحدي العولمة.

٢-العولمة:

مصطلح ظهر حديثاً، لكنّه قديمٌ بمدلولاته وأبعاده الاقتصاديّة والسياسيّة والتقنيّة والمعلوماتيّة، بل العسكريّة أيضاً. وأهمها الثقافيّة. وقد ذاع هذا المفهوم أخيراً للترويج لظاهرة اقتصاد السوق الحر بعد انهيار النظم الاشتراكية في بعض دول العالم الغربي، ليشرع للعالم نظام القطب الواحد.

هل ترمي العولمة إلى توحيد الثقافات المتعددة، أم إلى استثمار تعددها واختلافها بوصفهما الوسيلة المثلى للنماء؟!

هل تعني التوحد ونهاية الصراع والتناقض؟

إنّ عصر المعلومات لا يحتاج إلى آليات ضخمة وعتاد ومبانٍ شاهقة، بقدر ما يحتاج إلى فكر وعلم وخبرات، وهي التي تساهم في نمو المجتمعات وازدهارها، وبها يقاس تقدم الأمم. لكن العولمة –للأسف- استغلت للهيمنة على جوانب الحياة الإنسانيّة:

-الجانب الاقتصادي: استثمار القوى العظمى لثروات العالم وأسواقه ومواده الأولية على حساب الشعوب الفقيرة.

-الجانب السياسي: الهيمنة السياسيّة وانفراد المعسكر الأقوى على العالم، ومحو الإرادة الوطنيّة المستقلة للدول والشعوب.

-الجانب التقني: ظل التقدم التقني سراً عند مبدعيه في المركز، ولم ينقل إلى الأطراف إلاّ إذا كانت امتداداً للمركز. واحتكار التقنيّة لا تقل أهمية عن احتكار السوق، لكن ثمة تقنيات تقليديّة قادرة على الصمود أمام التقنيات الحديثة.

-الجانب المعلوماتي: بالرغم من أن لثورة الاتصالات جوانب عملية من حيث سهولة الاتصال بين أرجاء المعمورة، إلاّ أنّها تظلُّ في أيدي الشركات الكبرى في المركز، وتقوم على احتكار تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والإتجار بها. وتصبح حينئذ سلعة لا خدمة.

-عولمة الثقافة: شيوع أنماط الاستهلاك الغربيّة وقيمه للترويج للصناعات والمنتجات الصناعيّة. وللعولمة ثقافتها غير المكتوبة تبث أفكارها عبر الأقمار الصناعيّة والقنوات الفضائيّة، وعبر أساليب الحياة اليوميّة في الطعام والشراب والكساء والمواصلات والهاتف والتلفاز ونظم التعليم وفرض العلم والمعرفة باللغات الأجنبيّة، وطوابير الهجرة إلى الغرب. إنّ الإنتاج الثقافي أصبح في يد الشركات الكبرى. وتحولت الثقافة من المكتوب إلى المقروء.

٣-اللغة العربيّة والعولمة:

لنعترف أنّ كثيراً من الروابط القوميّة في العصر الحالي قد تفككت، فلا تضامن عربي، ولا تكامل اقتصادي، ولا مواقف موحّدة .. ولم يبق إلاّ رابط أخير هو اللّغة العربيّة، التي غدت الحصن الأخير للأمّة. وبعض الجهات تسهم بقصد أو غير قصد في إضعاف اللّغة، مما يؤدي إلى فقدان الشعور بالانتماء إلى الأمة وتهديد للهويّة القوميّة.

إضافة إلى انحسار دور العرب في إنتاج الثقافة العالميّة أدباً وفكراً ونقداً وعلوماً وفنوناً ومصطلحات وتقنيات، فقد انتقلوا من دور الإبداع والتأثير إلى دور التلقي والتأثّر، وأصبح عدد غير قليل منهم جاهلين بلغتهم وكفاءاتها وإمكاناتها.

إنّ ما يجري اليوم على صعيد الإعلام العربي والفكر العربي والثقافة العربيّة يمثل خطراً شديداً على بنيان الأمة وتماسكها ووحدتها.

ففي وسائل إعلامنا العربيّ تنتشر المفردات والمصطلحات الغربيّة، وكذلك في بعض الخطابات الثقافيّة. وبعض العرب يعتبرون استعمال هذه المفردات في الحديث والحوار تطوراً، ويزعمون أنّ اللغة العربيّة معقدة وصعبة. بل إنّهم يجنحون إلى اعتبار التمسّك بالتراث الثقافي واللّغة العربيّة سببَ بلاء الأمة وتخلفها الحالي، ويزعمون أنّ الحلّ لا يكون إلاّ بالانعتاق منها، واللجوء إلى اللّغات الأجنبيّة، لأنّها في نظرهم أكثر ملاءمة لمتطلبات العصر. إضافة إلى شيوع العاميّة في الإعلان والإعلام والخطاب الثقافي..وكل ذلك يعني استبدال ثقافة غريبة بالثقافة العربيّة الأصيلة.

ولعل بعض المثقفين العرب قد أصابهم الإحباط من ضعف العرب وتفككهم، لكنّ بعضهم الآخر ارتهن لسياسات مشبوهة تعمل على تشويه الثقافة واللّغة. وقد ساعدتهم على هذا الارتهان بعض وسائل الإعلام الناطقة بالعربيّة، التي أخذت تتبنّى القضايا المعادية للعرب، عن قصد أو دون قصد. وإذن فإنّ أولى التحديات التي يواجهها العرب اليوم هي العولمة:

ومع أنّ للعولمة جانباً إيجابياً هو سرعة وصول المعلومات وتداولها، وإمكانية التفاعل الثقافي والفكري بين شعوب العالم. إلاّ أنّ سيطرة الجهات المعادية للعرب على وسائل الاتصال والمؤسسات الإعلاميّة الغربيّة ومراكز البحوث والدراسات المشبوهة، وسيطرة القوى العظمى عسكرياً وهيمنتها على العالم فكرياً واقتصادياً وتكنولوجياً، وارتهان المنظمات الدوليّة لإرادتها. كل ذلك أدى إلى أن يتفاقم دور العولمة السلبي تجاه العرب ببعديها السياسي والثقافي.

إنّ العولمة الأمريكيّة التي اقتحمتنا سياسياً، تسعى للإجهاز علينا ثقافياً، وأخذت تقتحم علينا طرائق حياتنا وحديثنا وتفكيرنا. إضافة إلى محاولة وسائل إعلامها تخريب مصطلحاتنا السياسيّة والنضاليّة والتاريخيّة ومحو ذاكرتنا الحضاريّة. خصوصاً وأنّ الجهات المسؤولة عن الثقافة والإعلام في بعض البلدان العربيّة محكومة بتوجهات ثقافيّة قطريّة بعيدة عن الهمّ القومي، أو خاضعة لسيطرة ثقافات الطوائف والمذاهب والإثنيات، حيث يقوم مثقفو التشرذم بتسويقها بوسائل متعددة، وينساق الناس لترويجها دون وعي. ويقع موضوع اللّغة في مقدمة ما يروّج، حيث يتم إضعاف اللّغة تحت شعار المحافظة على الخصوصية الثقافيّة لهذه الجهات. وهذا يسهّل على العولمة اختراق الثقافة العربيّة.

وهكذا نجد الثقافة الأنكلو سكسونية، بحكم أنّها اليوم لغة العلم والعمل والتواصل والتجارة والصناعة والتعليم العالي والنشر وتبادل الخبرات الثقافيّة، تهيمن على العالم، وعلى الوطن العربي أيضاً، مما يؤدي إلى انحسار دور اللغة العربيّة، وتقييد استعمالها في مجالات ضيّقة.

إنّ ثمّة محاولات في المحافل الدوليّة لاستبعاد اللغة العربيّة عن موقعها كلغة عالميّة رئيسة. وثمّة مراكز بحوث أحدثت في الغرب

لتشويه التاريخ العربي بحقائقه ووثائقه، وتزويره بما يخدم الأهداف المعادية للعرب.

أما في مجال الشابكة (الإنترنيت) فإنّ أغلب صفحات المواقع المتوفرة على شبكة «الويب» مكتوبة بالإنكليزية. وثمّة نقص في المحتوى الرقمي العربي. إضافة إلى عدم اعتماد مواصفات محارف اللّغة العربيّة، مما يسبب الكثير من الإشكالات للمستخدم العربي.

مع الانفتاح المعرفي وتفجّر المعلومات الذي يشهده العالم اليوم تواجه اللّغة العربيّة تحدّيات جمّة، وفي مقدمتها الجانب السلبي للعولمة، ويتمثّل في هذه الهجمة الشرسة للعولمة على ثقافتنا العربيّة.

وهذه الهجمة الإلغائيّة الإقصائيّة هي امتداد لما عانت منه الثقافة العربيّة سابقاً من هجمات شعوبيّة.

ومن هنا يحق لنا أن نقلق على مستقبل اللّغة العربيّة، ونشعر بضرورة أن تنهض من غفلتها، وتثبت أنّها قادرة على استيعاب تطور العصر، ومواكبة العلوم الحديثة، وتوليد المصطلحات العلميّة الجديدة، والاستجابة لهذا التطور العظيم في مختلف فروع العلم والمعرفة ووسائل الاتصال، وتقلل من اعتماد هذا التطور على اللّغات الأجنبيّة وأولها الإنكليزيّة. تلك اللغات التي تغزو فكرنا، وتتغلغل في حواراتنا وكتاباتنا.

وإنّ ما نراه اليوم من قلة المحتوى الرقمي العربي على الشابكة (الإنترنيت)، التي أصبحت اليوم النافذة المهمّة لتبادل المعارف والعلوم والثقافة بين دول العالم، وقلة المؤلفات العربيّة في فروع العلوم الحديثة وخصوصاً التقنيّة والهندسيّة والمعلوماتيّة تعكس التدهور الذي تسير إليه لغتنا العربيّة. إضافة إلى ندرة مراكز البحوث والتوثيق والمعلومات في الوطن العربي، في الوقت الذي تتنامى فيه أعداد من مراكز الدراسات الغربيّة ومنه مراكز إسرائيليّة. تسعى إلى تشويه التاريخ وتزوير الوقائع وبث الأضاليل، بما تنتجه هذه المراكز يومياً من وثائق مزوّرة. وبعض هذه المركز متخصص بهذا الجانب.

٤- أيام اللغة العربية:

في ١٨ كانون أول عام ١٩٧٣ أصدرت هيئة الأمم المتحدة خلال دورتها (٢٨) القرار رقم ٣١٩٠ الذي ينص على إدخال اللّغة العربيّة ضمن اللّغات الرسمية ولغات العمل في الأمم المتحدة، لتصبح اللّغة السادسة.

وكانت الأمم المتحدة عند تأسيسها عام ١٩٤٥ قد اعتمدت لغات رسمية خمس هي: «الإنجليزيّة وتحتل المكانة الأعلى في الأمم المتحدة، تليها الفرنسيّة (التي أخذت تتراجع لصالح الإنجليزيّة والإسبانيّة)، ثم الإسبانيّة والصينيّة والروسيّة». وهي لغات الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. وقد استبعدت الألمانيّة والإيطاليّة لخسارة دولتيهما في الحرب المذكورة.

ومن اللافت أنّ انتصار العرب في حرب تشرين ١٩٧٣، كان انتصاراً للّغة العربيّة، ففي أعقابها أضيفت إلى قائمة اللّغات الرسميّة في المنظمة الدوليّة، رغم أن العرب حاولوا منذ عام ١٩٤٥ إقناع العالم بمكان لغتهم، وهكذا أعلن يوم ١٨ /كانون الأول/ من كل عام يوماً للّغة العربيّة في المنظمة الدوليّة.

-بناء على طلب سورية وافقت المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربيّة على اعتماد الأول من آذار يوماً عربياً للّغة العربيّة.

-قرر المؤتمر العام للمنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٩٩، استحداث يوم دولي للّغة الأم، تعبيراً عن التعدديّة الثقافيّة والتنوع اللغوي، وما يمكن أن ترفد به هذه التعدديّة ثقافات العالم من غنى وثراء. واعتمد يوم ٢١ شباط من كل عام يوماً عالمياً للّغة الأم.

ومنذ ذلك التاريخ تمت إشارات كثيرة إلى أهمية اللّغات الأم:

-الإعلان العالمي للتنوع الثقافي وخطة عمله (٢٠٠١).

-الاتفاقية الخاصة بصون التراث الثقافي غير المادي (٢٠٠٣).

-تعزيز التعدد اللّغوي واستخدامه وتعميم الانتفاع بالمجال السيبرني (٢٠٠٣).

-اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي (٢٠٠٥).

-إعلان الاتحاد الأفريقي عام ٢٠٠٦ سنة إفريقيّة للّغات.

-الاجتماعات التي نظمت أثناء القمة العالميّة لمجتمع المعلومات، في الفترة الفاصلة بين مرحلتيه من كانون الأول ٢٠٠٣ إلى تشرين الثاني ٢٠٠٥.

-أقرّت منظمة اليونسكو اتفاقيّة التنوع الثقافي في ٢٠٠٥/١٠/٢٠، ووقعت عليها سوريّة، وصدرت بالقانون رقم (٤٢) بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٣١. وكانت الولايات المتحدة من معارضي هذه الاتفاقيّة، لأنّها تحد من النموذج الأمريكي للعولمة.

-جاء في رسالة مدير عام (اليونسكو) بمناسبة اليوم العالمي للّغة الأم، في ٢١ شباط ٢٠٠٦:

«من واجب (اليونسكو) تيسير توافر الشروط السياسيّة والاجتماعيّة والتقنيّة، على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي، والاضطلاع بدورها في القيام بأنشطة متعدّدة فعّالة وقابلة للبقاء.

ولكنّ التزام (اليونسكو) لن يكون مجدياً ما لم يصاحبه التزام المجتمع السياسي والعلمي والتربوي والثقافي الدولي بأسره، وما لم تعمل القوى الحيّة في دنيا السياسة والاقتصاد وفي المجتمع المدني، على أن تنال قضية اللّغات والتنوع اللّغوي الأهمية والرعايّة، ما يرقى إلى مستوى التحديات الأساسيّة التي تطرحها».

كويشيرو ماتسورا

مدير عام اليونسكو ٢١//شباط/٢٠٠٦

جاء في تقرير لليونسكو: إن عدد اللّغات المهدّدة بالاندثار في قارات العالم الخمس يقدر بنحو (٢٥١١) لغة.

ففي فرنسا مثلاً تواجه (٢٦) لغة محليّة مخاطر الاندثار مثل (لغة الباسك والبروتون والكورس والبورجينيون والأوكسيتان) بسبب هيمنة اللغة الفرنسية.

قالت سيسيل دوفال رئيسة قسم التراث غير المادي باليونسكو: إنّ إفريقيا تعد من أكثر قارات العالم التي تواجه فيه اللّغات المحلية مخاطر الاندثار، بسبب التوسع في استخدام الإنكليزيّة والفرنسيّة، وبسبب هيمنة اللّغات المحليّة الكبرى مثل (اللّغة السواحليّة) التي تهيمن على منطقة شرق إفريقيا، وتهدد باندثار ما بين ٣٠-٤٠ لغة محليّة يتحدث بها أبناء تنزانيا.

السرد في القصة القصيرة

• باسم عبدو

تتزاحم في ذاكرة القاص مجموعة أفكار تتدفق كالسيل، يصاب بالحيرة وهو يقلّبها ويقوم بإجراء موازنة بين فكرتين أو أكثر، لكنّ في النهاية يختار واحدة تكون هي، (ثيمة) أو فكرة القصة التي سيؤسس عليها قصته ويبني دعائمها الفنية وقواعدها المتينة.

وعلى هذا الأساس، فالسرد هو الطريقة التي يعبّر فيها الكاتب عن فكرته، سواء تجسّدت تلك الفكرة في نص واقعي أو ساخر أو هزلي أو رومانسي أو غير ذلك.. والسرد هو الصورة الواقعية اللغوية للحادثة، أي نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية .. وحين نقرأ مثلاً: (وجرى نحو باب المقهى، وقلبه يخفق من التعب .. وتصور عامل المقهى - الذي يستقبل الزُبُن - أن هذا الرجل في حالة سُكر، لا يدري ماذا يجري في المقهى وفي الشارع، فخارت قواه ووقع على الرصيف من شدة الإرهاق).

إن السارد أو راوي الحكاية أو (الحادثة)، لا يكتفي فقط بذكر الأفعال (جرى، يخفق، خارت..)، بل عليه أن يستخدم العناصر الفنية التي تنقل الحدث من حالة الخبر كما هو في الواقع، إلى حال جديدة لها مقوماتها وعناصرها ومبنية على قواعد فنية تستحق القراءة والنشر، ثمَّ عليه تصوير هذه الأفعال وتداخلها مع بعضها بعض.

يتساءل قارئ ما أو مهتم بهذا الشأن: متى يبدأ السرد؟

يبدأ السرد عادة من أول كلمة في السطر الأول من كلمات النص وينتهي بآخرها، ويكشف عن موقف الشخوص.. كيف تتحرّك في المكان وفي الزمان.. وكيف تعبر عن تعدد خيوط الحدث ونوع نسيجه وبأية صنّارة نسج، كي يشكل أرضاً خصبة تروى باللغة القصصية الإبداعية. وتبين رحى الصراع الخارجي بين الشخوص، والصراع الذي يدور في داخلها ويعجن الحدث ويصقله ويجعله صالحاً للاستخدام.

وللسرد أنواع عديدة. وميّز الشكلانيون الروس بين خطين من السرد:

أولاً: السرد الموضوعي، ويكون الكاتب مطّلعاً على كل شيء بما فيها الأفكار السرية للشخصيات.

ثانياً: السرد الذاتي، وهو تتبع المحكي ومقاصده وكيفية تعبير الراوي عنه.

ويرى تودوروف، أن لتأليف الحكائي ثلاثة أنماط رئيسية هي:

١ - التسلسل، ويكون بتجاوز حكايات مختلفة، ما إن تنتهي الأولى حتى تبدأ الثانية.

٢ - الترصيع، وهو عبارة عن دمج حكاية داخل حكاية أخرى.

٣ - التناوب، ويقوم على حكايتين في وقت واحد.

إذا كان السرد هو الصورة الواقعية اللغوية للحادثة، فما هو الأسلوب السردي؟

يرى المتخصصون بتقنية القص والبناء الفني، أن لا علاقة للأسلوب السردي بـ (النبرة) التي يتحدث فيها الكاتب. ففي القصص الساخرة مثلاً، يطغى على النص نبرة السخرية، ويظهر ذلك بوضوح في الكلمات والعبارات الساخرة التهكّمية المباشرة وغير المباشرة. وفي القصص الواقعية الجدّية والوضوح، وباستطاعة الكاتب أن يعبّر عن فكرة معينة بأسلوب ساخر بعيد عن المهزلة والاستهزاء، وذلك عن طريق حوار داخلي يجري في ذاكرة شخصية من شخصيات النص الأدبي، ويسمى هذا الحوار (بالمونولوج الداخلي).

وهناك مجموعة أساليب للسرد هي:

١ - المونولوج الباطني أو (مناجاة النفس)، ويظهر هذا المونولوج في النصوص الأدبية على هيئة نص. أما إذا استخدم في المسرح فيظهر المونولوج الباطني.

٢ - المونولوج المسرحي، يشبه المونولوج الباطني، إنما يأخذ شكل حوار مع طرف آخر. وهذا الطرف الآخر يُعْرف من خلال ما يقوله المتكلم أو الراوية، كما أننا لا نعرف المكان الذي يتحدث منه المتكلم إلاّ من خلال حديثه المباشر.

٣ - الرسائل البريدية، هو الحوار الذي يجري بين طرفين في القصة من خلال الرسائل البريدية.

٤ - اليوميات، وهي عبارة عن المذكرات التي تشكل الأساليب التي تكتب فيها القصص والروايات.

٥ - السرد الشخصي، هو ما يعتبره النقّاد سرداً غير موضوعيّ، لا بدَّ من اللجوء إليه في حالات عديدة ومن أجل تحقيق أهداف معينة. ويتمثّل هذا الأسلوب السردي بوجود شخصية واحدة تروي ما يجري من أحداث في قصة أو رواية، وتكون تلك الشخصية كالمراسل الصحفي.

٦ - السرد الموضوعي، لا يكون إلاّ في القصة التي يتحاور فيها شخوص عدة، ويتفاعلون في حيّز مكاني محدد ويصنعون حبكة درامية عالية الجودة، وتنهض بالقصة على ركائز التشويق والامتاع والهدف والخاتمة المفتوحة وإغراء المتلقي لقراءتها والاحتفاظ بها في ذاكرته.

ولا بدَّ أخيراً أن ننوّه، أن مهمة الناقد هي في الكشف عن مواطن الجمال في القصة، وتحليلها وموازنتها بغيرها والكشف عن عناصر القوة والضعف والجمال والقبح فيها، وبيان قيمتها الإبداعية والأدبية.

قامات من بلدي

سـلامة عبيد (نموذجاً)

• فرحان الخطيب

(قامات من بلدي)عنوان جاذب للقارئ والمستمع بآن، وما إن نقرأ كلمة قامات حتى يتبادر إلى ذهننا مجموعة من القيم والخصال الحميدة أو الأفكار النيرة ، أو جمع من الميزات العالية الشأن تحملها قامة ما في مجتمع ما لتشكل مع أقرانها في ذلك المجتمع او المحيط قامات أبت إلاّ أن تكون حمالة لمكونات نبيلة ، صادحة بعنوانات أجمل مافيها أنها منبثقة من نسيج مجتمع جاهد مئات السنين ليعلن عن كينونته وذاته ، ضمن محيط زاخر بالصراعات ، مليء بالنضال والتضحيات ، تدلل على ذلك قامات سماها الصديق معين العماطوري (قامات من بلدي) ليعلن أنها أي هذه القامات ستكون مادة لبرنامج إذاعي يبث من إذاعة (الكرمة) من المنطقة الجنوبية في بلدنا الغالي سوريا، وعندما دعاني لأتحدث عن إحدى هذه القامات فلم أتردد في اختياري لاسم الأديب الراحل سلامة عبيد لأنني وجدت في نشأته وطفولته وشبابه وكهولته نموذجاً لشخصية طموحة ونزيهة وخيرة ومكافحة الى أخر يوم من حياتها، فالأديب الشاعر سلامة عبيد ولد في محافظة السويداء عام ١٩٢١ أي بعد عام واحد من دخول قوات الانتداب الفرنسي الى سوريا ، وكان والده علي عبيد أحد أهم الثائرين ضدّ هذا الانتداب ، فانخرط في صفوف الثّوار منذ بداية التململ بين صفوف الشعب لانطلاق الثورة السورية الكبرى بقيادة المغفور له سلطان باشا الأطرش ، وعندما وضعت الثورة أوزارها ، ورحل الثوار الى وادي السرحان ، كان سلامة عبيد ابن الست سنوات في رفقة والده، فعاش شظف العيش ، وقسوة رمال الصحراء، وساهر النجوم في تلك المفازة المترامية الأطراف ،وسابق الريح ليعلن أنه المنتصر على خشونة الحياة ، ولكنه كان يرى بعينين براقتين ، الرّجال الرّجال، وهم يستذكرون انتصاراتهم على القوات الفرنسية في الكفر والمزرعة والمسيفرة وراشيا والقلمون والغوطة وإقليم البلّان ، والطفل يسجل على صفحات ذاكرته البيضاء ما يسمع ويرى ، حتى إذا بلغ التاسعة عام ١٩٣٠ استطاع والده أن يجد لابنه طريقاً إلى لبنان ليدخل المرحلة التعليمية الأولى هناك ،فنجده وخلال عشر سنوات دائم الاستذكار لأسرته وخاصة لأخيه نايف الذياستشهد عام ١٩٢٦ ، فاستجمع الطفل بعقله وخياله كل هذه القصص والمشاهدات ،ليطرز بها خطّه الحياتي والذي لم يحد عنه قيد أنملة إلى ان وافته المنية. وفي عام ١٩٤٠ ، وقد أنجزت المعاهدة السورية –الفرنسية عام ١٩٣٦، عاد على وطنه الأم سوريا ، وقد حمل الشهادة الثانوية ليبدأ بممارسة التعليم في مدارس السويداء حيث كان ينظم الأناشيد الثورية ، ويناضل ضد الاحتلال الفرنسي مع أقرانه الشباب ، ولمّا تزل صورة صحراء النبك ماثلة أمام عينيه ،وفي عام ١٩٤٣ كتب (مسرحية شعرية) بعنوان (اليرموك) تمثل فيها النصر العربي على جحافل الرّوم في صدر الإسلام ، ليكونه الشعب ضد الفرنسين ، وبعد أن نالت سوريّا إستقلالها رجع إلى لبنان ليكمل دراسته العليا ، فحصل على الماجستير في التاريخ ، والذي بقي ملهماً له طوال حياته فمتح من معينه ، الدراسة التاريخية ،والشعر ، والرواية ، والقصة ، والمقالة ، وترجم عن اللغات الأجنبية ما حس انه يشبه تاريخه بالمعاناة الإنسانية وعندما عاد إلى سوريا عام ١٩٥٣ باشر عمله في حقل التدريس ، ثم عين مديراً للتربية في المحافظة ، وإبّان الوحدة بين سوريا ومصر كان عضواً في مجلس الأمة ، ولم يصل إلى عام ١٩٦٠ حتى تقاعد من الوظيفة وقد أصدر ديوانه الأول (لهيب وطيب) الذي ضمّ مجموعة من قصائده الحافلة بصور البطولة ، ملهمه في كل هذه القصائد الوطن، وحلمه الزاهي الألوان بوطن حرّ جميل ، يطير بجناحين من الاستقلال والحرية إلى كل أصقاع العالم ، عماده نفوس أبية لا تستكين كنفس الشاعر في قوله :

لا لن أكون ... وما خلقت لكي أكون كما يريد لي الزمان

لا لن أكون ... قصباً يرجفّهالنسيم ، ويستقيم إذا استكان

لا لن أكون... أنا في إباء السنديان ، وفي عناد السنديان))

ويحاول الشاعر رسم صورة الطفولة المرة التي حملها في ذاكرته ، فيستعيد صحراء (النبك) في السعودية ، ويستعيد صورة الخيام ، فينشد:

ربى النبك هل تذكرين الخيام لديك مبعثرة جاثيه

تحاول شمسك احراقها وتصفعها ريحك السافيه

وقوماً عرينهم شامخ رهيب بسمرته القاسية

إن المحنه عند سلامة عبيد لا تستطيع أن تلوي ذراع الشعوب ،فالقوم رغم قسوة الحياة لازال عرينهم شامخاً يتحدى الزمن بسمرته القاسية ، وهنا يلتقي مع الكثير من الشعراء الذي يعبرون عن معدن الشعب العنيد الذي لا ترهبه قوة طاغية ، أو مستعمر مستبد ، وفي (لهيب وطيب) لم ينس سلامة عبيد ثلة من المجاهدين والمناضلين فدبج فيهم القصائد ، ووصفهم بالنبل والشجاعة ، وكان مقياسه للشخصية التي يتحدث عنها ،دائما ارتباطها بالوطن ولنستذكر ما كتبه في الشيخ صالح العلي:

يومك اليوم فميدي ياربانا وانتفض ياسهل زهواً وافتتانا

أنت أذكى لو تنفست الشذا أنت أذكى لو تكلمت بيانا

يازعيميابنسوريا التي لم يزدها العنف الا عنفوانا

فهو يتحدث عن ابن سوريا الذي ثار لكرامتها ، وقاد أول ثورة ضد الاستعمار الفرنسي من الساحل السوري الشجاع أما عادل أرسلان الثائر القادم من لبنان ، ولأنه التحق بالثوار في صحراء النبك وناضل معهم وكتب أحاسيسهم ، فقد كتب عنه:

رزئت بك العلياء وأنت نصيرها ومجيرها من طابع مستلئم

أيّ النسور يطوف ما طوّفته شوقا إلى الملأ الرفيع الأعظم

ويكتب قصيدة (من دمانا) الشهيرة بعد أن قامت الطائرات والمدفعية الفرنسية بقصف المجلس النيابي في دمشق عام ١٩٤٥ ونرى الشاعر في هذه القصيدة مجدداً من حيث عدد التفعيلات في البيت الواحد والقافية التي غادرها الشاعر مرات عديدة إلى قواف عدّة ، وفي الديوان قصائد أخرى تدلل على ما قلناه تحمل عناوين (ذكرى المالكي) ، (في غد تزحف الجموع) (يابلادي) (ياشعب) (في ذمة الله عادل النكدي) : : : الخ..

أما في ديوانه الثاني (الله والغريب) فلا يبعد كثيراً من حيث المضمون عن ديوانه (لهيب وطيب) فيخص الشهيد بقصيدة وخاصة بعد استشهاد أخيه كمال في حرب تشرين التحريرية ١٩٧٣ فيهدي قصيدته إلى أخويه الشهيدين (نايف وكمال) ولكن الميزة الجديدة هنا في هذا الديوان هي أن للغربة مكان واضح وجليٌّ فالرجل أمضى أكثر من عشر سنين في الصين مدرساً للغة العربية في جامعة بكين وكان للغربة عن الوطن غلالة تلفع بها في قصائده ، حتى أنه تمنى أن يرجع إلى الوطن ليغمض جفونه فيه ، ولو كان الرجوع ليوم واحد ، ولله في خلقه شؤون ، فاستجاب الله لدعواته فعاد يوماً واحدا وفي صبيحة اليوم التالي ٢٥ ٣ ١٩٨٤ لاقى وجه ربه بعد أن كتب قصيدته (الله والغريب) راجياً:

يارب لا تغمض جفوني هنا

هنا قلوب الناس بيضاء

وأرضهم ماء وأفياء

لكن بي شوقاً إلى أرضي

لجبل الريان والساحل

القي عليه نظرة الراحل

...

دعني أعش يوماً أخيراً هناك

حيث أحبائي

والذكريات الحلوة المرة

طفولة شقية شاردة

وزهرة الشباب

تنوشها السياط والحراب

...

وفي الرواية ، ولّما يزل في حضرة التاريخ ، كتب عبيد رواية (أبو صابر الثائر المنسي مرتين) وبطلها رجل ثائر حقيقي أسمه (حمد ذياب) تطوع في جيش الاحتلال ثم هرب منه لينضم إلى أبناء وطنه الثوار ، فألقت فرنسا القبض عليه ، وفرّ ثانية، وحارب الفرنسيين وجرح في إحدى المعارك، لتقبض عليه ثانية ، وتعلم أنه مجند فار من خدمتها ،فتنفيه وتسجنه في سجون جزيرة (غويانا) المستعمرة الفرنسية في أمريكا الجنوبية ، وليعود إلى سوريا بعد غربة واضطهاد ونفي لمدة تزيد عن العشرين سنة، لتبدأ رحلة العذاب داخل الوطن ، هذه قصة حمد ذياب أبو صابر ، ولكن عبيد كتبها صادقاً رواية قائلاً (سيختلف الأدباء والأصدقاء في تقييم هذا العمل الأدبي فناً ولغة وتأثيراً، ولكنهم يتفقون جميعاً على أنها قصة رواها ثائر صادق ، وكتبها قلم أثر أن يكون صادقاً) وفي التاريخ كتب كتاباً هاماً بعنوان :

(الثورة السورية الكبرى...على ضوء وثائق لم تنشر) فقد وجد أن ليس لهذه الثورة من أسباب مباشرة وغير مباشرة ، فيكفي دخول الفرنسي المحتل إلى أرض سوريا ليعلن السوريون الثورة على الاحتلال البغيض ولهذا نشب على ارضنا منذ عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٢٥ أكثر من ٣٥ ثورة لتصب جميعاً فيما بعد في نهر الثورة السورية الكبرى والتي شملت بقيادة سلطان باشا الأطرش كل أنحاء سوريا ولبنان ولمدة عامين كبدت الفرنسيين الخسائر وشاهد فظاعة الاحتلال خلال منفاه مع عائلته والثوار في الصحراء، وناضل ضد الاستعمار في شبابه ، واحتفل بالجلاء مع كل الشعب السوري، وأيضاً حوى الكتاب على أكثر من (١١٢) ملحقاً كوثائق تاريخية ومراسلات ومكاتبات،

أما الحديث عن عبيد ومتابعة لحلقة (قامات من بلدي) في إذاعة الكرمة ،فلن يكتمل إلا بحديثنا عن تجربته الحياتية الغنية في الصين حيث وقع الاختيار عليه عام ١٩٦٤ ضمن وفد لاتحاد كتاب أسيا وأفريقيا، وحين عودته كتب مشاهداته وأراءه بما رأى وربما بما أحب وأعجبه ، وكان قد الف كتابه (الشرق الأحمر) الذي ينضوي تحت أدب الرحّلات ويقول عنه الأديب فوزي معروف في كتابه (سلامة عبيد الأديب الانسان) ركز سلامة عبيد في كتابه

عن رحلته الأولى إلى الصين على ما رأه من نقاط إيجابية تميز الصين وتسهم في إنجاح التجربة لبناء الصين الجديدة ، وقدم للقارئ خلال حديثه عن مشاهدته مايراه لازماً لبناء وطن عربي جديد، قدمه بأسلوب بسيط وبصدق)) وعندما رجع إلى الصين عام ١٩٧٢ ليدرّس اللغة العربية ، وجد نفسه في قمة نشاطه وعطائه ، فكان لايكلولايمل ويقول للصينين إنّ كلّ وقتي متاح لكم فكان لهم الصديق الأجمل، ونهل من معينهم، وأعطاهم أجمل ما لديه كمواطن عربي ينتمي لأمة عريقة، فقدم لهم العربي بالشكل الحضاري المثقف والأنيق، ولم يكن في كل ذلك الرّجل الذي يقوم بمهمة وظيفية ، ينتظر أنهاءها، بل كان الباحث والمدقق والمعلم والمترجم والمتقصي، لتاريخهم وأدبهم وشعرهم وأساطيرهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وبعد كتابه (الشرق الأحمر) قدّم للعربيّة كتباً مهمة ترجمها عن الصينية وهي (مختارات من الشعر الصيني القديم) و(طرائف من الصين) والأسطورة الصينية (النساجة وراعي البقر) ولكن من الأعمال التي تبهر المتمعن بها، ويقف المرء مندهشاً لصبر وجلد سلامة عبيد لهذا الانجازالجليل وهو إنجاز القاموس الصيني –العربي وهو الأول من نوعه في الصين وبلغ حجمه ٢٢٥٠ صفحة تقريباً من القطع الكبير إذ يقول أستاذ اللغة العربية بجامعة بكين (تشانغ جيان مين) عنه(إن القاموس الصيني – العربي هو الأول من نوعه في بلادنا ولايقوم بدور هام في نمو ودراسة وتدريس اللغة العربية وتنشيط الصحافة والنشر باللغة العربية فقط بل سوف يسهم في تعجيل التبادل الصيني العربي في ميدان الثقافة مساهمة كبيرة ، كان الأستاذ (سلامة عبيد) يدرك بعمق مغزى هذا العمل فصرف معظم جهوده بالإضافة إلى إلقاء المحاضرات على المدرسين والشبان والطلاب ، فساهم مساهمة جليلة في وضع هذا القاموس) ويقول عنه الكاتب الصيني (لوي شيه دي) في مجلة (بناء الصين) تحت عنوان (تسع سنوات في جامعة بكين) يقول(هو واسع المعرفة ،وخاصة ان مستواه اللغوي والادبي عال جدا انه جدير بلقب الموسوعة الحية) ولعمري هذا اللقب فخر لكل السوريين الذين يحترمون الكلمة التي تسير على دروب المعرفة ولابد من التنويه إلى أن مؤلفات سلامة عبيد جاوزت الأربعة والعشرين مؤلفاً نصفها لم يطبع حتى الأن.

وفي نهاية هذه الحلقة من برنامج قامات من بلدي لابد من توجيه الشكر لمدير إذاعة الكرمة د. فاروق شرف ومعد البرنامج الإعلامي معين العماطوري والمذيعة الأنيقة رهف حمزة على ما قدموه لي من وقت لنجاح هذا الحديث عن قامة باسقة من قامات من بلدي الأستاذ الأديب الراحل سلامة عبيد والذي قال عنه الشاعر فؤاد كحل:

((لقد ترعرع الشاعر مع الناس وعايش أخلاقهم وأنماط تفكيرهم وجهادهم وهمومهم وأغانيهم، وصبرهم على المحن، وعفتهم وإباءهم، وإيثارهم للفقر على الذل والإهانة، وحبهم للحرية، وكرههم للمستعمر، وكل هذا غذى مواقفه وأنضج كوكب مجازه فكان شاعرًا في الحياة، وحياً في القصيدة))

بين الورقي والالكتروني دفء الكتاب ومتعته..

• يوسف مصطفى

كانت اللغة العربية حاضرةً في كلِّ أشكال الثقافة، والعلوم، واستفادت من كلِّ أدوات الكتابة من الطباعة العاديَّة، وتطورها إلى طباعة التنضيد الضوئي إلى إمكانية التخزين للكثير من المؤلفات عبر الحاسوب، واستحضارها كلاً أو جزءاً وقت الحاجة. لقد أصبحت الكتب الرقمية واقعاً قائماً على الرغم من الانتشار المحدود نسبياً للحاسوب ، وهناك نخبٌ مثقفة" أصبحت تتعاملُ مع هذا النَّوع من الخدمات الطباعية ، وقد تشهدُ السنواتُ القليلة القادمةُ قفزات نوعيةً في التعامل مع الحاسوب ، والكتب المخزنة على الأقراص، أو مُخزِّن الحاسوب.

لا شكَّ هناك مشكلاتٌ خاصةٌ تتعلق بتعامل اللغة العربية مع الحاسوب . ولعل أهمها هو الضَّبط ، الإملائي ومسألة الشَّكل، والنَّصُ العربيُّ يحتاج لذلك، ثم هناك تقنية تحويل النص الصوتي إلى نص مكتوب وكم ستحقق من سرعة في الكتابة والانجاز إنَّ الكتابة الالكترونية ثورةٌ علمية بكل المعايير قاربت لا بل فاقت اختراع المطبعة ، فالكتاب الالكتروني سهلُ النشر وسهل التورزيع، وسهل القراءة، والاطلاع، وكثير من المواقع يسمح بتحميل الكتب مجاناً. ويمكن قراءة أي كتاب على شاشة الحاسوب مجاناً.. كما يمكن اقتطاعُ فصول ، وشواهد وسحبها، وطباعتها، وهذه كلها أنماط تواصلية تساعدُ في عملية التشاقف ، ونشر المعارف، وانتشارها. إنَّ ملايين الكتب يمكن حفظها في جزءٍ من القرص الليزري ، أو الأقراص الصلبة (hard) وبالتالي يتم الاستغناء عن المكتبات، وعن الرفوف ، والتصنيف ، والحيز ، والمساحات التي تحتاجها . كما أنه من الممكن تأليفُ كتب، وتخزينها ، ونشرها الكترونياً دون أن تمرَّ بمرحلة الطباعة الورقية ، وسوف يميل الكتاب في المستقبل إلى النشر الالكتروني ، ويستغنون عن النشر الورقي وتكاليفه، وصعوبة توزيعه ونقله واستغلال أصحاب دور النشر.

ويستطيع الناشر وضع كتابه على موقع ، وبيعه ، وإجازة ذلك ، ولكن يبقى المحذور قائماً في امكانية نقله، وسرقته من خلال الموقع ، ولكن هذا حاصل أيضاً في الكتاب الورقي ، فكم من أفكار و مؤلفات سُرق محتواها، بعضه أو كله . لقد حُوِّلت الكثير من كتب التُّراث العربيِّ إلى كتب رقمية وهي تضمُّ : علوم التفسير والحديث والفقهَ والشريعة ، وغيرها . كما تضمُّ كتب الشِّعر ، والتاريخ إلخ. مثال : موسوعة الشعر العربي، وموسوعة الحديث ، ومكتبة الإسكندرية التي جمعت في أربعة وثلاثين قرصاً من نوع (dvd)..

ويلاحظ في هذه الكتب الكثير من الأخطاء الإملائية ، ونقص الحواشي، والهوامش الموضحة..

بالنسبة للجامعات ومراكز البحث لا توافقُ على المصادر الرقمية وإدراجها في مراجع البحث. ولا زالت تكلفة الدخول على المواقع عالية بالنسبة لدخل المواطن العربي. يقال أنَّ نسبة التعامل مع الحواسيب لا تتجاوز ٨٪ في الوطن العربي.

ثم هناك قضايا الرَّقابة ، وغيرها.. كما أنَّ

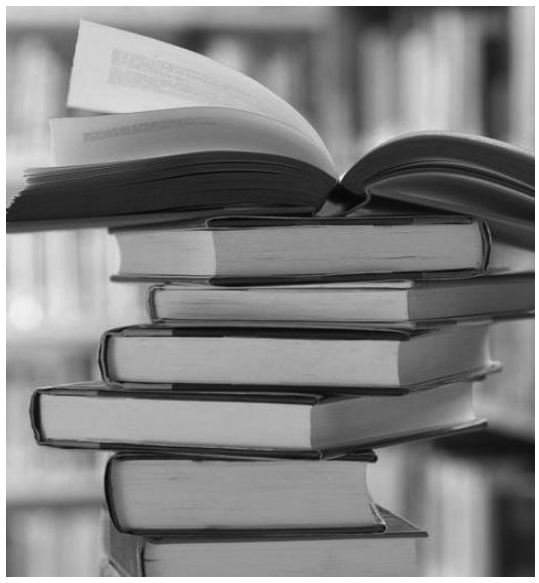

غياب حقِّ الملكية في الكتب ، وفوضى الشبكة العالمية وأخذ بعض المواقع لمواد بعضها ، وهذا يدخلُ في باب السَّرقة ، وفقدان أمانة وحقِّ المؤلف..

يبقى الكتابُ الرقميُّ نقلة نوعية في حالة توصيل المعرفة ، ونقلها.. ومساراتُ التغيير، والتَّطور في مسألة الكتاب الالكتروني مفتوحةٌ ، ولها مستقبلها ، وتطورها. ولكنها حالات قد لا يمكنُ السيطرةُ عليها نظراً لانتشارها ، وتقنية استخدامها.

يبقى للكتاب التقليديِّ دفؤهُ ، وحميميتهُ ، وسهولة نقله وحمله ، وتاريخيتهُ ، وماقدمه، ويبقى للمخطوط رونقهُ ، وجهدُ قراءته ، وتحقيقه ، كما تبقى امكانية السيطرة ، والضَبط الإملائي ، والنحويّ سهلة وميسرة ، وامكانية عرض الكتاب لمدققين خارج المنطقة ، أو الإقامة الجغرافية. لنكن مع الاتجاهين ، ولنقرأ ما يصلنا من كتب ، وما نستطيع تحصيله من معلومات ، فللقراءة طقوسها ، وآلياتها ، وأوقاتها.

وقد ألفنا الكتاب المطبوع في مدارسنا ، وعلى طاولاتنا ،وفي رفوف مكتباتنا ، وغدت المكتبة لدى الكتاب ، والمثقفينَ جزءاً من حياتهم ، وعزَّة امتلاكهم ، وفخرهم ، ومتعة نظرهم . والجلوس في المكتبة طقسٌ يوميٌ للكثيرين ، ومتعة رؤية رفوف الكتب يبهج الكثيرين. المكتبة جزءٌ من تاريخنا ، بها ازدهرت حضارتنا في بغداد ودمشق والأندلس ،وعلى صفحات تلك الكتب سطر الجاحظ ، وأبو حيان التوحيديّ ، والأصفهاني ، وأبو علي القالي ، وابن عبد ربه المؤلفات الموسوعية التي أصبحت مكتبات في مكتبة.

على أوراق تلك الكتب نظم المتنبي ، وأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، والعشرات إلى نزار قباني وبدوي الجبل ، ونديم محمد روائعهم .. وكم سهروا على السراجات ، والفوانيس ، ومع الحبر الأزرق والبني ليكتبوا تلك الروائع الخالدة.

يبقى للكلمة دورها ، وللفكر دوره ، وكل تغيير في العالم يبدأ فكرياً ..لكل جديد لونهُ ، وتعاملهُ ، ولكل قديم ذاكرته ، وجمالهُ .. فلنكن مع القراءة ، مع الكتاب أنى وجد وفي أي حيز معرفي .. إنَّ القراءة عنوان نهوض كبير، فدعوة إليها.

وجه عربي

أمل دنقل

• الأسبوع الأدبي

هو شاعر من شعراء مصر الكبار، لم ينحنِ أمام سياط القهر، وظلَّ يقاوم حتى الرَمق الأخير، الظلم والقهر والمرض...

ولد الشاعر أمل دنقل عام ١٩٤٠م، في قرية القلعة مركز «قفط» في مدينة «قنا» في صعيد مصر.

تربى الشاعر أمل دنقل في بيت علم وأدب حيث كان والده عالماً من علماء الأزهر، وحين رزق بمولوده، كان قد حاز على (إجازة العالمية) عام ١٩٤٠، فاختار لمولوده اسم «أمل» تيمناً بالنجاح..

وتلقى «أمل» من والده فيما بعد علوم الدين والتفسير والفقه والشريعة والشعر، وأطلعه والده على ذخائر عمالقة الشعر العربي القديم.

ولكن الموت اختطف منه والده وهو في العاشرة، مما أكسب شعره تلك المسحة من الحزن التي طغت على معظم قصائده.

درس الثانوية في «قنا»، والتحق بكلية الآداب في القاهرة، وتخرج منها بتفوق.. عمل موظفاً حكومياً، ثم عين في منظمة (التضامن الأفرو ـ آسيوي)، وكان ينصرف بعد عمله إلى كتابه الشعر وتنقيحه..

تميز شعره بخروجه عن القصيدة التقليدية، والتقاليد الشعرية التي كانت سائدة في الخمسينيات، وكان التراث العربي المنهل الخصب الذي يستوحي منه رموزه ويثري قصائده سعياً لتحديث القصيدة العربية..

عاصر أمل دنقل أحلام العروبة والثورة المصرية، وكان لهزيمة حزيران (١٩٦٧) الأثر الأكبر في نفسه، حيث شكلت الرحم الذي ولد منه ديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)، ف «زرقاء اليمامة» حذرت قومها من الخطر المحدق بهم، ولكنهم لم يستجيبوا لها، وسخروا منها، كانت قصائد هذا الديوان تجسيداً حقيقياً لأحزان الإنسان العربي الذي مني بالهزيمة في (نكسة حزيران ١٩٦٧).

وتلا ذلك العديد من الدواوين منها:

(تعليق على ما حدث) بيروت ١٩٧١، مقتل القمر) ـ بيروت ١٩٧٤م، (العهد الآتي) ـ بيروت ١٩٧٥، (أقوال جديدة عن حرب البسوس) ـ القاهرة ١٩٨٣، (أوراق الغرفة ٨) القاهرة ١٩٨٣.

وعلى الرغم من قلة أعمال الشاعر «أمل دنقل» إلاَّ أنه وصل بالمضمون السياسي للشعر إلى درجة عالية من التقنية الفنية والقيمة الفكرية، وأعطى صورة حقيقية للتمرد السياسي المقرون بالرؤية القومية، مما دفعه لاختيار رموزه من التراث العربي، وما الهزائم التي مني بها العرب إلا مرآة لهزائم الماضي، فالوجع الفلسطيني وجع دائم متجدد، ما دامت إسرائيل تعيث في أرضنا الفساد..

عكس شعر أمل دنقل مشاعر صادقة الهزائم المتلاحقة التي منيت بها أمته، فالبكاء بين يدي زرقاء اليمامة، خير شاهد، يقول الشاعر:

أيتها العرافة المقدسة
جئت إليك.. مثخناً بالطعنات والدماء
أزحف في معاطف القتلى، وفوق الجثث المكدسة
منكسر السيف، مغبر الجبين والأعضاء
اسأل يا زرقاء
... ...
كيف حملت العار
ثم مشيت، دون أن أقتل نفسي، دون أن أنهار
ودون أن يسقط لحمي من غبار التربة المدنسة

وفي قصيدته المعروفة «عم صباحاً أيها الصقر المجنح» يقول:

لا تصالحْ
فليس سوى أن تريدْ
أنت فارسُ هذا الزمان الوحيدْ
وسواك.. المسوخْ!
لا تصالح.. حتى وإن منحوك الذهب
ترى إن فقأتُ عينيكَ..
وثبتُ مكانهما جوهرتين
هل ترى؟
هي أشياءٌ لا تشترى!

× × ×

تزوج الشاعر من الأديبة عبلة الرويني التي كانت تعمل في جريدة (أخبار النهار)..

وأصيب أمل دنقل بمرض السرطان، وبقي يصارع المرض لثلاث سنوات، وقد صورت قصائده الرائعة الألم والمرض في مجموعته «أوراق الغرفة ٨»، رحل أمل دنقل في (٢١ أيار عام ١٩٨٣، وأوصى أن يدفن في الصعيد، موطنه، وترك لنا تراثاً رائعاً من الشعر العربي الجميل.

النقب..
فصل مصر عن بلاد الشام

• أحمد أشقر

في السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني ٢٠١٤ أعلن وزير الإسكان الصهيوني، "أوري أرئيل" عن خطة سيعرضها على الحكومة تقضي بإعادة تجديد استمرار السيطرة على أراضي العرب وتهويد النقب. وتقضي الخطة المذكورة إلى إقامة ٢٢ مستعمرة منها ٧ لتجمع القرى العربية التي لا تزال موزعة على جزء من أراضي النقب وما تبقى، ١٥ مستعمرة لليهود لاستجلاب نصف مليون مستعمر حتى العام ٢٠٣٥. وفي الحادي والعشرين من شهر حزيران ٢٠١٣ صادقت "الكنيست الإسرائيلية" على خطة "برافرمان- بيجن" بالقراءة الأولى (هنالك ضرورة بقراءتين أخرتيّن كي يصبح القانون نافذا). فقد صوّت إلى جانب القرار ٤٣ عضو كنيست مقابل ٤٠ آخرين اعترضوا عليه. تقضي الخطة على ضرورة تجميع عشرات القرى العربية في النقب والتي لا تعترف بشرعية وجودها، أي تهجير عشرات الآلاف من أهاليها وحشرهم في تجمعات تخطط "إسرائيل" لإقامتها دون الأخذ بعين الاعتبار بتاريخ هؤلاء الناس ولا نمط حياتهم ولا ومصالحهم ولا ملكيتهم على الأرض. كذلك مصادرة ٨٠٠ ألف دونم يطالب عرب النقب الحكومة بملكيتهم عليها بموجب قانون الملكية الخاصة والطابو.

من شمال سيناء ثم يتسع باتجاه الشمال، إلى النقب الفلسطيني.

أثارت هذه المصادقة غضب أهالي النقب، فقد تظاهر الآلاف منهم بالإضافة إلى المئات من عرب المثلث والجليل معربين عن رفضهم الخطة التي وصفوها بالـ"نكبة". لذا أعلنت "لجنة متابعة شؤون المواطنين العرب في إسرائيل" الإضراب العام في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ يوم الاثنين الموافق الخامس عشر من شهر تموز عام ٢٠١٣.

بدأت الخطط (اليهو- صهيونية) تجاه النقب قبل ولادة أجداد "برافرمان" و"بيجن" في عام ١٨٩٨ عندما اقترحت الحكومة الإنجليزية على اليهود منحهم كياناً في شمال سيناء والعريش (ليمتد بعد ذلك إلى النقب). وفي العام ١٩٠٣ انطلقت بعثة مشتركة لفحص الموضوع على أرض الواقع مع الحكومة المصرية. لكن الحكومة المصرية، التي وافقت في أول الأمر، عادت وتراجعت، بعد ذلك، لأن الكيان الوليد من شأنه أن يستهلك حصة كبيرة من مياه النيل.

لم يَغب هذا الاقتراح، وكذلك الأدبيات التي كُتبت عن المشروع، في حينه، عن ذهن وتفكير العرب والقوى القومية الأخرى، آنذاك. فبعد سنتين من التخلي المؤقت عنه، كتب الطبيب والفلكلوري الفلسطيني توفيق كنعان (١٨٨٢- ١٩٦٤)، في عام ١٩٠٥، محذراً العرب من خطورة الاستراتيجية الصهيونية تجاه النقب، شارحاً بأن النقب هو في صلب العقيدة الصهيونية، لأنه المنطقة التي تعزل مصر عن بلاد الشام؛ أي ستستخدمه الصهيونية لتفكيك الوطن العربي وإضعاف الأمة. ومنذ ذلك الحين لا يزال النقب ماثلاً في الفكر السياسي والتخطيط الصهيوني، بصيغ تؤكد ما جاء به توفيق كنعان.

تبلغ مساحة النقب الجغرافي ١٣ مليون دونماً. أما النقب الفلسطيني فمساحته ١١ مليون دونماً. والمليونان المتبقيان هما شمال سينا والعريش. وكانت الخطة - في حينه - أن يبدأ المشروع من شمال سيناء ثم يتسع باتجاه الشمال، إلى النقب الفلسطيني.

لا تكتب الباحثة "حايا نوح" عن أهمية النقب بالنسبة للصهيونية ودولة "إسرائيل". بالطبع، يمكن معرفة السبب؛ فالبحث عبارة عن رسالة ماجستير (منشورة) في الجغرافية الاجتماعية، وليس في الدراسات الاستراتيجية التي هي حكر على السياسيين والعسكريين، ولا يبحث فيها داخل الجامعات والمعاهد البحثية التابعة لها، بل في معاهد تكون مرتبطة بالحكومات والجيش. وتأخذ الطابع السرّي أو شبه السرّي. والباحثة هي ممَن يُعرفون بباحثي "ما بعد الصهيونية". التي تهدف إلى نسيان احتلال الجزء الأول من فلسطين وطرد أهلها عام ١٩٤٨، ومنحه الشرعية - ولو الضمنية منها - والحديث عن النتائج في أبعادها المدنية فقط، كعدم المساواة والتمييز وما إلى ذلك.

تقول الباحثة إن الاهتمام بالنقب بدأ في عام ١٩٤٨، لكن هذا ليس دقيقا، فالاستعمار بالقرب من النقب كان قد بدأ في العام ١٩١٢ عندما أقامت مجموعة من الصهاينة مستعمرة «روحاما». وفي العام ١٩٤٣ أقامت ثلاث مجموعات أخرى ثلاث مستعمرات شمال النقب. هذا لم يمنع الدولة من استخدام قوانين الطوارئ لعام ١٩٤٥، التي قال عنها مناحيم بيجن (١٩١٣- ١٩٩٢) إن قوانين كهذه لم تكن موجودة في ألمانيا النازية، بغرض قمع العرب والسيطرة على أراضيهم ومصادر ثرواتهم! لذا عمدت الصهيونية وأذرعها المختلفة إلى توسيع حدود الكيان قدر الإمكان وتقويتها بوجه «الأعداء العرب»، وسن القوانين والأنظمة لتثبيت ذلك، ثم تسليمها إلى الدولة واليهود، وإقامة المستعمرات لهم؛ هذا ما جاءت به الباحثة نقلاً عن تنظير أرنون سوفير، أكثر المنظرين تأثيراً في مجال السيطرة على الأراضي والمياه العربية (ص ٢٦- ٥٢). ما تقوله الباحثة ليس دقيقا؛ فقد أقام المُستعمرون اليهوصهاينة النواة الأولى لمستعمراتهم في العام ١٩٤٦، ومنذ ذلك الحين لم يتوقف هذا الإستعمار.

وكما أسلفنا، وبسبب المكانة الخاصة للنقب، فقد ناقشت "لجنة الترانسفير" عام ١٩٤٨- علماً أن الاسم الرسمي لها هو «لجنة الشؤون العربية» - التي كان يرأسها بن جوريون، في بداية الاحتلال، مصير سكانه. واقترح بعض أعضاء اللجنة إكمال طرد العرب منه، إلا أن النتيجة كانت بضرورة تركيزهم شرقيّ مدينة بئر السبع (ص ٢٩- ٣٠)، كي تسهل عملية طردهم إلى شرق الأردن، مستقبلاً. ومنذ ذلك الحين وعملية التركيز - التي هي عنوان طردهم من أراضيهم وسجنهم في تجمعات ضيقة - مستمرة. وقد بدأ الإعداد لها في عام ١٩٥٠، حين قررت حكومة الكيان تركيز البدو في تسعة مراكز، ثم انخفض العدد إلى سبعة، ثم إلى خمسة، وفي عام ١٩٦٢ خفضت الحكومة العدد إلى ثلاثة. وما تزال سياسة تركيزهم في أقل عدد من المراكز هي الاستراتيجية القائمة. ومنذ ذلك الحين وعرب النقب يعانون الأمرين؛ من الطرد، إلى تسميم المواشي وآبار الشرب، وجرف الأراضي المزروعة بالقمح والشعير، وقتل كل من يقترب من أبنائهم إلى حدود إحدى المستعمرات؛ حتى إن السلطة التشريعية، «الكنيست»، سنّت، في عام ٢٠٠٨، قانوناً يبيح قتل العرب، وأطلقت عليه اسم الإرهابي «درومي» الذي قتل شاباً عربياً من النقب، لأن هذا الشاب اقترب من مزرعة المجرم «درومي» بـ«داعي السرقة»! ومع منتصف العام الحالي،٢٠١٤، يكون الكيان قد هدم قرية العراقيب «غير المعترف بها» للمرة السبعين، لأن أهاليها يرفضون مبدأ التركيز؛ أي طردهم من قريتهم. وفي غضون هذه الفترة الممتدة من النكبة إلى يومنا هذا ناقشت حكومة الكيان، علناً، خطة طردهم بالكامل من النقب؛ فقد ذكرت صحيفة «هآرتس»، في عددها الصادر بتاريخ ٢٠,١١,١٩٩٩، اقتراح وزير المالية يتسحاق موداعي (١٩٢٦- ٢٠٠٧) بطرد العرب من النقب، وتقدير ورصد التكاليف المالية اللازمة للتنفيذ. وكان الهدف المعلن هو استجلاب ٤٠٠ ألف مهاجر من جمهوريات الاتحاد السوفياتي، في ذلك الحين. وبحسب إحصائيات عام ٢٠٠٣، يعيش في النقب ما بين ١٤٠-

١٥٠ ألف عربي، تقريباً، ويعيش ٥٥٪ منهم في القرى غير المعترف بها. وقد نعتت السلطات هذه القرى بـ«غير المعترف بها»، علماً أنها تنسجم مع تعريف وزارة الداخلية بأنها قرية عادية «مثلها مثل المناطر في الجليل» (ص ١٩). وتؤكد الباحثة أن هدف السلطات هو السيطرة على الأراضي ليس إلا (ص ٥٢- ٥٩).

تتناول الباحثة القرى الثلاث: الترابين، وأم بطين، والمقيمان، غير المعترف بها، بوصفها حالات ممثلة لبحثها. وتقدم المعطيات الضرورية لأي بحث من هذا النوع. فهي تسلط الضوء على المعطيات المادية المختلفة: التاريخ والسكان، والأبنية السكنية والعامة، وعدد الطلبة، والقوانين والأنظمة التي استخدمتها السلطات ضدها. ولا تنسى الباحثة أن تؤكد أن هذه القرى كانت قائمة قبل الاحتلال، عام ١٩٤٨ (ص ٧٠- ١٠٧).

رغم أهمية البحث، من ناحية حشد المعطيات اللازمة لإثبات ما تصبو إليه الباحثة: بأن سلطات الكيان تسعى إلى السيطرة على الأرض وتركيز/ تقليل/ طرد السكان من النقب.. إلا أنها تقع في الفخّ الذي تنصبه نظريات ما بعد الحداثة، وتحديداً نظريات ما بعد الاستعمار، التي تعتقد بانتهاء الصراع القومي، ووجوب التحوّل إلى النضال المدني الذي يكفل، ليس كل الحقوق القومية "للسكان الأصلانيين"، بل جزءاً من حقوقهم: المدنية فقط.

تقرأ الباحثة ما يحدث في النقب وفق النموذج الذي حصل للهنود الحمر في أمريكا، والسكان الأصليين في أستراليا (علماً أن المشرف على رسالتها الجامعية، الأستاذ الدكتور أورن يفتحئيل، متخصص بالسكان الأصلانيين في أستراليا). وتقول، أيضاً، بأن المواجهات العنيفة لـ"أصلانيين" مع السلطات الاستعمارية قد فشلت. وأن تطوير أساليب غير عنيفة من شأنه أن يُثمر بعض الشيء (ص ٢٢- ٢٦).

ما تقوله يعني الكثير: أولاً أن الصراع الوطني في الأرض المحتلة عام ٤٨ قد انتهى. لذا فكلّ ما بقي هو النضال المدني لتحسين ظروف العبودية، ليس أكثر ولا أقل. ثانياً أن الصراع القومي: العربي- اليهودي الصهيوني، لا وجود له، فكل ما بقي هو النضال المدني (أيضاً). هذا صحيح، في جانب ما لأنه يحسن حياة الناس اليومية، لكنه ليس بالواقع الحتمي، أبداً، رغم أن الفكر السياسي الفلسطيني العربي وغالبية النخب الفلسطينية والعربية تقبل ما تقول به الباحثة. لذا يتوجب العودة إلى المربع الأول: قومية الصراع وعروبته. عدا ذلك نكون مثل أحد شيوخ الهنود الحمر، الذي حارب الاستعمار، لكن عندما اعتقل ابنه أصبح همّه أن تتم محاكمة ابنه بنزاهة، وفقاً لقانون المستعمر! وعليه يتوجب رفض ما تخلص إليه، في نهاية بحثها، ألا وهو ضرورة تطوير النقب لسكانه العرب واليهود، معاً (ص ١٢٣). أي تثبيت كون النقب المنطقة التي تفصل مصر عن بلاد الشام، لكن هذه المرّة بمشاركة عربية - فلسطينية. ولا شكّ، أيضاً، في أن حصار قضاء غزة، الواقع غربي النقب، يندرج ضمن هذه الاستراتيجية.

نعود ونكرر مرة أخرى: إن خطة "برافرمان- بيجن" خطوة جديدة في إستراتيجية منع التواصل الديموغرافي- الجغرافي بين عرب النقب مع شعبهم في الضفة الغربية وقضاء غزّة، ومنع تواصل مصر مع بلاد الشام. وما تواصل العدوان على قضاء غزّة التي تعتبر جزءا طبيعيا من النقب إلا محاولة إضافية أخرى في سبيل استمرار تحطيم مصر وجعلها تستجدي بدو الخليج لإنقاذ اقتصادها. هذا ما لا يدركه النظام المصري الحالي في مصر. هذا النظام لا يدرك أن بارود غزة ودماءها ودموعها هم الحرّاس الأوفياء لأرض الكنانة وبدلا من تحويل غزّة إلى شوكة في خاصرة الكيان، حوّلها هذا النظام إلى خنجر في كلّ جسده.

في نقد النقد!
..الغموض باقٍ ويتمدد

• حسين خليفة

هو غموض عن سابق إصرار وترصد، غموض يمتهنه بعض النواقيد يسعون من خلاله إلى إيهام المتلقي بأنهم في أبراجهم العاجية يرون ما لا يراه، ويتحدثون بلغة أين له أن يفك مغاليقها ويكتشف ألغازها، متلقٍ يراهن كتاب المدرسة الهيروغليفية على جبنه أمام جرأتهم واجتراحهم لكل ما يدخل في باب اللعب بمفردات اللغة واشتقاق المشتق والشغل على اللفظة حتى تستنفذ أغراضها. . .

في مقالة لأحد هؤلاء في منبر ثقافي محترم يبدأ الناقد الهيروغليفي معلقته النقدية بالإعلان عن موضوع مقاله، وهو فيلم المخرج المبدع عبد اللطيف عبد الحميد (نسيم الروح) ومجمل أعماله، مبتدئاً بالسخرية من (الريفَ وبساطته المزيَّفَة المغنّاة.)

ثم يستشهد بشاعر المجر الشهير (بماذا يشتهر؟) يوجيف ايتلا. . . و بفرناندو بيسوا والفيلسوف سيوران . . . . . وهكذا يسحرنا بداية بثقافته العالمية أو فوق العالمية، لأنه يذكر أسماء لا يعرفها معظم القراء، وبالتالي تكون هذه الضربة الأولى لقارىء يكتشف شيئا فشيئا عمق رؤية الكاتب ورفعة ثقافته.

ثم يحكم بضربة قاضية على فيلمي عبد الحميد اللذين افتتح بهما مسيرته الفنية (ليالي ابن آوى) و(رسائل شفهية) فيقول بتواضع نقدي جم (كانت القرية وكلام أهلها الهزيل موضوعهما؛ حققا نجاحاً «جماهيريا» لما حملاه من حسّ كوميدي مصطنع، اعتمد في جلّه على زعيق المبالغات اللفظية الرائجة - تتحمل الجماهير المخدرة تبعة قبولها وتكرارها السوقيّ.)

ويترك ساطوره النقدي لينتقل إلى تقريظ فيلم (صعود المطر) للمخرج نفسه ومعه أفلام (نجوم النهار) لأسامة محمد و(أحلام المدينة) لمحمد ملص و(كومبارس) نبيل المالح، فتبدأ صيغ التفضيل والمطلقات تزين لغته النقدية العميقة حينما يتحدث عن هذه الأفلام (الأفضل، الأكثر جودة، علامة بارزة وغير مألوفة، الأكثر تهافتا وقلة تحكم- لاحظوا الركاكة -) وللمناسبة فإن فيلم صعود المطر هو اقل أفلام عبد الحميد جماهيرية قياساً لفترة عرضه والإقبال الجماهيري المحدود عليه خلال هذه الفترة القصيرة، أما أفلام «نجوم النهار» و«أحلام المدينة» والكومبارس فهي لمخرجين آخرين تفترق تجاربهم السينمائية عن تجربة عبد الحميد شكلاً ومضموناً، ولا مكان لجمع أفلامهم مع أفلام عبد الحميد في مجزرة نقدية واحدة.

ويبدو أن شاعرية الناقد قد تفجرت في مقالته النقدية السينمائية بعد ان ساح في ملاعب النقد الأدبي لفترة قصيرة، فأدخلنا في متاهات تشبه تماما بعض قصائد النثر التي ينشرها تباعا في المكان إياه.

وحتى لا نسهب في الحديث عن ناقدنا سأورد مقاطع من نقده، واعتذر عن طول بعضها حتى نتحاشى الاجتزاء ونتهم بتقويله ما لم يقله إن كان هناك من قول، وأتمنى من القارىء الكريم أن يستنفر كل ملكاته اللغوية والنحوية والمعجمية ليحاول «شرح أبيات» بعض هذه المعلقة النقدية:

(بعد أن أصبح المعيش المرذول حتف الخيال)

(حلمٌ يدلّ على صوابٍ لا يكون سوى خطلٍ في واقعٍ يؤيد الغباء)

وهذه علامة أخرى على اهتراء الواقع الراضي بيقين مسطح عن مثل تفسيركهذا)

يقول عن الحلم: (إنه الإمكان المتألق لما لم يكن بعد، وما إرجاؤه العفيف سوى وساعته النامية)

(أي تجعل التأويل، الذي هو فرادة الفكر الحرّ الخالق، خرساً مطبقاً، أثراً لتزيين الوقت المنهوب حتى يثوب الركيك المتسلّط، واقعاً بلا شارة لطف، إلى (رشده الناضج الآمن) فيتمِّمَ ببشاعة القناعة والصبر التالفين خرابَه المتسلّط وعقمَه المصان)

(الروح الحرة اللطيفة،وادّعاءُ نسيمها المنعش، مقيدان ومحجوبان بترس الواقعية السافرة؛ فحلمُهُما البريء من نسيج مفترسهما الثرثار بعد تغلغله في صمت غدا بلادةَ التكلم وسلواه)

(الزهرة السامة - سمة الذل الإنساني - لم تتفتح عن أي دهشة، فسمُّ وضعَةُ ما يحدث ويُرى لا تدركهما عين المخرج، وخيالُه من جذْبِ الرضا المجدب لا نفور الرفض الملتهب)

(«جماهيرية» و«رواج»هذا النمط من الأفلام ليست مقياساً نزيهاً ولا دقيقاً على جودتها الفنية والأسلوبية.)

(إنها، أي الجوائز، دعاية الفيلم وإسكاته معاً، فهي نتاج آليات ومهملات لجان التحكيم التي لا يمكن الوثوق بها دائماً، والتي تلجأ كما هو معروف في نصاب منح الجوائز إلى أمور وظروف لا تعتمد شأن الفن من شأن المكافأة.)

ربما لا يصدق الكثيرون - وهم محقون في ذلك - أن ينشر هكذا هراء حتى في مواقع الكترونية مغمورة، فكيف وقد نشر في صحيفة محترمة وذات تاريخ عريق ورصيد ثقافي وسياسي ووطني كبير؟

وأقسم أنني قمت بنقل هذه النماذج بأمانة من مقالة الناقود دون أي تدخل او حتى تصحيح أي خطأ لغوي، وأرجو من مدقق الجريدة أن لا يقوم بذلك أيضاً لتصل هذه الإبداعات كما جاءت من المصدر إلى القارىء الكريم.

هذه نماذج من كتابة نقدية تسارع «كبريات الصحف» إلى تلقفه ونشره تحت مسمى الحداثة والتجريب وما بعد الحداثة، وهناك أعداد غفيرة من مرتكبي هذه الكتابة تزدحم بها أروقة الصحف وأعمدتها والمواقع الالكترونية وصفحات الفيسبوك وغيرها تكشف الاستعلاء النقدي غير القائم على معرفة بالمنقود أو بأدوات النقد، هي مجرد كلمات لا رابط بينها لا تضيف شيئا إلى معرفة القارىء بالعمل موضوع الحكي - وما هو سوى مجرد حكي بلا لون ولا طعم ولا رائحة كالهواء تماماً أو ما يشبهه - يسترسل فيها كتاب يستعرضون غموضاً يشبه غموض البركة لعكرها وطحلبها وطميها، لا غموض البحيرة لعمقها وغناها.

ربما يفتح هذا الجنس الجديد بابا جديدا في النقد يمكن تسميته ب(النقد الكوميدي) أو الكوميديا النقدية، فترتفع ضحكات القراء وهم يسهبون في مجاهل الكلام الذي يشبه أي شيء سوى الكتابة النقدية . . .

أو ربما يصرخ قارىء بعد إجهاد القراءة: أنقذونا من هذا النقد!

توماس هاردي.. الكاتب الذي.. لم يهزم!

• حسن حميد

منذ صغره، افتتن الروائي الإنكليزي الكبير توماس هاردي بمراقبة أحوال الطبيعة ونباتاتها وأشجارها والحيوانات الصغيرة الدّابة فيها. كان حين يذهب إلى الحدائق للنزهة مع أهله ينصرف عن الناس، ومخالطة الأطفال، ويمكث في مكانه مراقباً الطيور وهي تحط على الأشجار والأعشاب، فيطرب لقفزاتها، وزقزقاتها، ويعجب بألوانها، ومراقباً أيضاً الحيوانات التي قبعت وراء الأسيجة ترنو إلى الخلق صغاراً وكباراً وهم يقذفون إليها ببعض الأطعمة، وينفرد بنفسه محدقاً في حركات الأسماك الذهبية التي جعلت من الماء بيوتاً لها وملاعب معمورة بالفتنة الكاملة.

لعل جسد توماس هاردي الناحل، وهو في عمر الطفولة هو الذي جعله ينعزل بعيداً عن صخب الأطفال وركضهم وألعابهم الضاجة، أو لعل ميله المبكر للتأمل والمراقبة أبقاه في تلك الحال نم الهدأة التي لم تسر والديه، وهما يتابعان لعب الأطفال، ويستمعان لنداءاتهم، ومناقشاتهم، وأسئلتهم المفاجئة، أو وهما يضحكان من عثراتهم وهم يطاردون بعضهم بعضاً فوق منفسح العشب الندي!

ولكم كانت والدته تضبطه وقد اقترب من برك الماء القريبة من منزلهم، لكي يراقب مغامرات الضفادع القافزة من صخرة إلى أخرى، وجولان الأسماك من جانب إلى جانب، وصعودها إلى سطح الماء تارة، أو نزولها إلى القاع البعيد عبر سباحة تملأ النفس بالزهو والانشراح!

تلك المراقبة، وذلك التأمل، وما يلفّهما من هدوء وأسئلة خافتة.. كلها ستكون المرتكز الأساسي في حياة توماس هاردي الذي قضى حياته كلها في مراقبة أحوال الناس، متفحصاً القيم التي تشدهم صعودات أو التي تحطّ بهم نزولاً، وجولانهم ما بين عمل وآخر، وعلاقاتهم ما بين تواصل وانقطاع، والثنائيات التي تعصف بأجدادهم ورغائبهم ما بين اتقاد وانطفاء، وكوامن النفس وهبوبها ما بين أفراح وأتراح!

لقد اختار الطبيعة ملعبا له في طفولته، نعمّره بالتأمل والملاحظة والأسئلة الكرارة، واختار المجتمع ملعباً له في حياته لكي يكتب ما ودّ الناس موارته لعجز أصابهم، وليبعث الآمال التي رمّدتها الظروف القواهر أو كادت، ولينتشل أحلام الناس من قيعان القنوط واليأس. لقد أغنى التراجيديا وهي بكامل مفارقاتها وأحزانها وخيباتها.. لكي يجعل مقاومة الإنسان كتاباً يؤخذ باليدين!

ولد توماس هاردي في صيف عام ١٨٤٠ بعد مخاض طويل كاد يقضي عليه، وعلى والدته في آن، فكان ضعيفاً يتنفس ببطء شديد، لكن رعاية أمه له، وعناية ممرضة استقدمتها الأسرة للإشراف عليه مكّنه من أن يتخطى الخطر المحدق به، وقد ظهر الجميع أنه راحل لابدّ، غير أن توماس هاردي عاش طويلاً!

كان والد توماس هاردي يعمل في شؤون البناء، ينتقل من مكان إلى مكان وسط طبيعة بعيدة عن الضجيج والأسواق، وكانت أمّه سيدة طيبة تفيض بالحنان واللهفة لملاقاة ابنها الذي كان يعود إليها بعد غياب ساعات مع والده لكي يعبّ جسده من ضوء الشمس أكثر فأكثر، وقد تأخر توماس هاردي عن التحاق بالمدرسة بسبب ضعف جسده وقلة حيويته، فلم يذهب إلى المدرسة إلاّ في سن التاسعة من عمره، ومع ذلك كان أصغر التلاميذ حجماً، فلا طوله يطاولهم، ولا حجم جسده يقارب حجوم أجسادهم، لكنه اكتسب الكثير منهم أصدقاء حميمين له لأنه أبدى تفوقاً دراسياً كان محط ذهول أساتذته، ولم يبلغ عامه الخامس عشر حتى كان يمتلك من المعارف والعلوم ما يؤهله إلى دخول إحدى كليات الجامعة.

غير أن والده خاف عليه من الإرهاق، لذلك بحث له عن مهنة تناسبه، فكّر أن يعلمه الموسيقا، فهي العلم الذي يناسب رهافته، ونحولة جسده، وفكرّت أمه أن ترسله إلى المعهد الملحق بالكنيسة ليدرس علوم اللاهوت. لكن رفض توماس للفكرتين دفعت والده الشغوف بالبناء والهندسة، إلى أن يلحقه بمكتب هندسي ليتعلم الرسوم الهندسية، ولكم تمنّى توماس أن يصبح رساماً لكنه لم يقو على الإفصاح عن رغبته بعد أن رفض رغبتين سابقتين واحدة لأبيه، وثانية لأمه، فذهب إلى المكتب الهندسي الذي كان يديره ويشرف عليه أحد أصدقاء والده، وقد نفر توماس، في البداية، من هذا العمل الرتيب المنظم، وفكر أن يعود إلى فكرة أبيه فيتعلم الموسيقا، فهو متمكن من مبادئها وقد صاحب والده في العزف غير مرة، وقد لاقى استحساناً وقد صاحب والده في العزف غير مرة، ولاقى استحساناً من سامعيه، لكن المهندس الذي يشرف على المكتب واسمه (جون هكس) احتفظ بـ توماس بعد ما رآه يتقدم في رسومه الهندسية وينجح! وقد أثنى عليه أمام والده قائلاً: فرخ البط عوّام!

ولكي يخفف توماس هاردي من رتابة عمله الهندسي، كان يستيقظ مبكراً، فيقضي ساعة أو ساعتين في القراءة وتحصيل علوم المعرفة، قبل انتظامه في دوامه الرسمي في مكتب الهندسة! وقد أتقن لغات عدة، تعلم بعضها بمفرده، ومنها: اللغة اليونانية، واللاتينية، والفرنسية، وشغف بالأدب، فأحب شعر شكسبير ومسرحياته، وأحب الحكايات الشعبية اللاتينية، وأغرم بالآداب الفرنسية، وراح يقرزم الشعر ويساهره طوال الليل، وكلما تخلّقت قصيدة لديه، صرّها وأرسلها إلى الصحف في البريد المضمون، لكن القصائد كانت تعود إليه واحدة إثر أخرى مشفوعة بجواب واحد: لا تصلح للنشر! ومع ذلك لم يتخلّ هاردي من عشقه للشعر، فظلّ يجالسه كتابة وقراءة كل ليلة، ولم يقتنع بعبارات الرفض التي كان يرسلها محررو الصحف، فقصائده مستوفية الأغراض والعناصر، ولا ينقصها سوى الحرارة والحماسة، وهو كائن بشري ضعيف لا يقوى على شحن قصائده بالحرارة والحماسة!.

لكن هاردي، سيقلع عن إرسال قصائده إلى الصحف والمجلات، استجابة لفكرة اقترحتها عليه إيما جيفورد التي تعرّف إليها في أثناء عمله الهندسي على إصلاح كنيسة (سانت جوليوت) في كورنوول، ولم تكن إيما سوى أخت زوجة راعي الكنيسة، وهي فتاة مثقفة، تعشق الفروسية والخيول، لديها فرط حيوية، وصاحبة صوت جميل، وحين يطلب هاردي يدها توافق،، فيلتقي النقيضان زوجين في لحظة مفاجئة! هاردي لا يحب الخيول ولا الفروسية، ولا الغناء، و(إيما) مجنونة بها، جسده مطفأ أو يكاد، وجسدها فوّار شبوب كالنيران!

يستجيب هاردي رغبة زوجته (إيما) نقيضة في الحياة، فيتحول عن كتابة الشعر إلى كتابة النثر، فيقدم قصصاً وروايات ما كانت لتظهر لولا تلك الجملة المرسلة إليه من محرري الصحف تعقيبا على قراءة قصائده لا تصلح للنشر ، ولولا إشارة زوجته الناصحة! ويصيب هاردي نجاحاً أدبياً تلته نجاحات أخرى، فقد بات حجة لسؤال الناشرين: ما إذا كان قد أنتج نصوصاً جديدة؟! وهذا ما جعل زوجته (إيما) تنظر إليه نظرة الرضا! ولكن هذا لم يتمّ له إلاّ بعد أن نشر بعض أعماله الأولى على نفقته الشخصية!

وقد نمت قصص وروايات هاردي في أحضان الواقع الاجتماعي، وذلك لأن عوالم الخيال كانت لا تقاربها إلاّ على نحو ما تقتضيه ضرورات الفن، فقصصه غارقة في الواقعية ومتمثلة لها، وقد جرّت عليه الكثير من المتاعب، فلاحقه لوم الناس مثلما لاحقته كتابات النقاد التي اتهمته بتجميل الواقع أكثر من طاقته، وأن كتاباته تدمر الأمل في نفوس الناس، وتخرّب جوهر القيم حين تحطّ بها من أعلى القيم إلى الحفر الوضيعة المتهافتة! لكن قناعة هاردي لما يكتب لم تهتز، وذلك لأنه وعى أن مهمة الكاتب تتمثل في تغيير أنماط الحياة الشائعة، والكشف عن الأسباب الكامنة وراء العلل الاجتماعية، وظواهر الانحلال والتسيب والانفلات من ضوابط منظومة الأخلاق العامة! وقد أراد هاردي من خلال رواياته وقصصه أن يُعرّي دوافع الناس الغريزة المندفعة بقوة شديدة نحو الاستحواذ على كل شيء، حتى وإن كان في أحضان الآخرين، وبأنانية شديدة، وبجسارة لا تحترم المبادئ والمواصفات الاجتماعية.

إن أهم الموضوعات التي عالجها أدب هاردي يتمثل في العلاقات الذكورية الشائهة التي تنظر إلى المرأة بوصفها شيئاً، أو متعة، أو نافلاً حياتياً، أو متغيراً دائم التحول.

وكذلك كشفه عن خصصية تكاد تثلم جمالية الحياة الاجتماعية، وفحواها أن كل فرد طامع بما لدى الفرد الآخر، ومستعد لأخذه أو الاستحواذ عليه عنوة دونما رادع أدبي أو أخلاقي أو حسن إنساني.

لقد أراد هاردي أن يقول بصوت عالٍ: إن القيم النبيلة تنحدر، وتتحلل، وتتوارى، وتندحر أيضاً! ولعل روايته تس سليلة دوبرفيل تمثل رثاء هاردي للمجتمع الذي يتفرج على مأساة (تس)، ويسخر منه في الوقت نفسه لأنه افتقد إلى القوة حين تخلى عن نموذجه الإرشادي للقيم السامية. وقد هزت هذه الرواية أعماق المجتمع الإنكليزي، وقالت إن اللامبالاة الاجتماعية تدمر الأرواح النبيلة! وإن التقاليد العفنة، وحالات الفسق التي يعيشها الآباء تورّث للأبناء بالسهولة الكاملة.

(تس) فتاة جميلة، أبوها صاحب زهو وفسق واستعلاء، وأمها سيدة متواضعة تحلم بأن تسعد ابنتها بزواج هانئ.

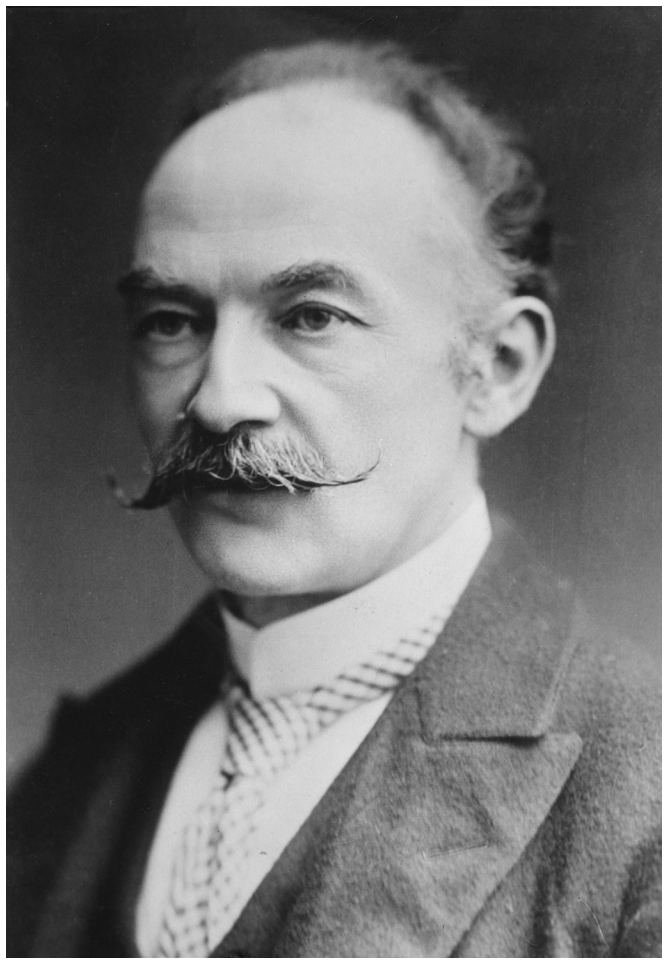

يرسلها الأبوان للعمل في مدجنة للطيور تمتلكها سيدة من أسرة (دوبرفيل)، وهناك يراودها (الك) ابن السيدة، فتغرم به، وتقيم معه علاقة تؤدي إلى حمل، وولادة طفل، ثم موت الطفل، وعودة خائبة إلى بيت والديها! وبعد استردادها لأنفاسها تذهب لتعمل (حلاّبة) في مزرعة، وفيها تتعرف إلى (إنجيل) ابن القس صاحب المزرعة فيهيم بها حباً، ويتزوج الإثنان، وفي مصارحة مشتركة، يخبرها (إنجيل) بمغامرة عاطفية مع امرأة، ويرجوها أن تغفر له وقد غدت زوجته، فتغفر له! وتصارحه هي أيضاً بما حدث لها، وترجوه أن يصفح عنها، وقد غدا زوجها، فلا يصفح، بل يثور ويهيج، ويصفها بالآثمة! وينفصل الإثنان، وتعود (تس) إلى بيت والديها! ثم تنتقل من عمل إلى آخر لتعيل أسرتها، ويموت أبوها الماجن، فتشعر بعزلتها ووحدتها القاتلة، فتسعى إلى استعادة (إنجيل) فهو ما يزال زوجها، ولكنها لم تجده! فتعود خائبة مقهورة، وفي داخل السوق تسمع صوت (الك دوبرفيل) الذي يرجوها للذهاب معه إلى المزرعة، فترفض أول الأمر، لكن ضغوط الحياة عليها، وفقر أمها.. يدفعانها إلى الذهاب مع (الك دوبرفيل) وفي المزرعة تمنحه جسدها، لكن روحها تظل تبحث عن (إنجيل)!

ويعود (الك) إلى إهانتها فتنقم منه، وتقتله، ثم تفرّ إلى فندق تبيع فيه النساء أجسادهن كيما يتحصّلنَ على لقمة العيش، في ذلك الفندق تلتقي بـ (إنجيل) الذي يهوله المصير الذي ألت إليه (تس)، فيخرج على غيروعي منه، وتلحق به (تس)، وتصارحه بأنها تحبه ولا أحد لها في الدنيا سواه، وتعترف له بأنها قتلت (الك)، فيعود إليها ليصلب حياتها، ويتعاهدان على الحياة المشتركة، في تلك اللحظة يتم القبض على (تس) فتعاد إلى السجن ثم إلى المحكمة ثم إلى الإعدام بعدما اعترفت بفعلتها!

حين نشرت رواية هاردي (تس سليلة دوبرفيل) هوجمت بشدة، وهوجم هاردي بكل أنواع البذاءة؛ ولم تهتز قناعته لأن كان مدركاً بأن الرواية عرّت النفاق الاجتماعي! وقالت: إن المجتمع قاتل أيضاً.

ولأن هاردي اصطدم بالمجتمع، ترك القص والرواية وعاد إلى العالم الذي هجره رغماً عنه، عاد إلى الشعر فأنجز دواوين كثيرة لم تثر نقمة أحد عليه، ثم كتب كتابات عن نابليون بونابرت، وحين فقد زوجته التي هدته إلى الرواية، تزوج امرأة وهو في الرابعة والسبعين من عمره لكنها رضيت بأن تكون شريكة سنوات عمره الأخيرة، وهي في الثلاثين من عمرها، وبعدما عرفت سيرته، كيما تمسح الأسى الذي راكمته الحياة على روحه براحة كفّها الناعمة!

رحل توماس هاردي سنة ١٩٢٨، بعدما ذاع صيته، وعرف الناس، والنقاد معاً.. مكامن قوته الإبداعية، لكنه هو لم يذق طعماً من طعوم الشهرة!

((جماليات الأداء في اللغة العربية))
محاضرة ضمن نشاطات فرع القنيطرة

في إطار الاحتفاء بمناسبتي (يوم اللغة الأم) و(يوم اللغة العربية) استضاف فرع القنيطرة لاتحاد الكتاب العرب نشاطاً ثقافياً متميزاً تمثل في محاضرة للدكتور محسن علم، وذلك في قاعة المحاضرات بمبنى الاتحاد بالمزة، ظهر الثلاثاء ٣/٣/٢٠١٥م.

وقد أشار د. محسن علم خلال محاضرته إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية كالظواهر الأخرى، وهي من أعظم مظاهر النشاط الإنساني، ففيها ثقافة الأمة وهويتها وسمات حضارتها. وهي أصوات للتعبير عن حاجات المجتمع، تختلف باختلاف تلك الحاجات من مجتمع لآخر، واختلاف الأغراض يعني تنوع اللغة من مجتمع لآخر، فالمستخدم منها يبقى في حدود الحاجة، والإبداع في مجالاتها تلبية لرغبات الناطقين بها، وتقوم على مجموعة من الأنظمة، كالنظام الصوتي والصرفي والنحوي، فالألفاظ والمعاني تَبَعٌ للحاجات البشرية، يكثرُ استعمال بعضها أو يندرُ وفاقاً للطلب والضرورة.

كما أكد على أن اللغة العربية مخزون تراث الأمة، فلكل أمة تاريخ شامخ تعتز به، وتراث عريق تحافظ عليه، تراث يحدد هويتها ومسارها عبر القرون المتوالية. والحضارة العربية مشرقة بكنوزها وتراثها الأدبي من شعر وخطب وروايات، وبثقافتها المتنوعة العلمية والدينية وغيرها، وكلها منقولة الفصحى التي تعبر عن ذلك الإرث المجيد الذي وصلنا.

ووضح د. محسن علم أن تعدد الأساليب في اللغة العربية دليل عظمتها ورُقيّها وسعتها في التعبير. فقد تتغير الأساليب، والغرض واحد، وقد يدخل المجاز والكناية والاستعارة لتعطي جميعها الأداءَ جمالاً قل نظيره والدلالة واحدة والمعنى المطلوب واحد، مسلطاً الضوء على جملة من البنود الجمالية كالبيان والبلاغة والأساليب الإنشائية والخبرية وجماليات الأداء في المسند والمسند إليه وجمال الأسلوب والأداء في حالات الفصل والوصل والإطناب في الكلام والجناس والخروج على القياس وجماليات الأسلوب على مستوى المفردات، مقدماً الأمثلة التي تبرز هذه الجماليات الموجودة في اللغة العربية سواء أكانت في القرآن الكريم أم الشعر أو النثر، فالعربية لغة الإعجاز والبيان، اختارها الخالق سبحانه لتكون لغة خاتم الرسالات السماوية، فهي لغة القرآن الكريم والذكر الحكيم الذي تكفل الله عز وجل بالحفاظ عليه إلى يوم الدين.

يذكر أن د. محسن علم من مواليد محافظة القنيطرة عام ١٩٥٦م، يحمل الدكتوراه في اللغة العربية- اختصاص الدراسات اللغوية (علم اللسانيات) بتقدير ممتاز من جامعة تشرين، كما يحمل إجازة جامعية في الهندسة المدنية من جامعة دمشق، وهو أستاذ محاضر في كلية الآداب الرابعة بالقنيطرة/ جامعة دمشق في علوم اللغة/ اللسانيات وفقه اللغة والنحو والدراسات اللغوية المعاصرة.

«أحبك من هنا إلى بغداد»
للشاعرة دنيا ميخائيل

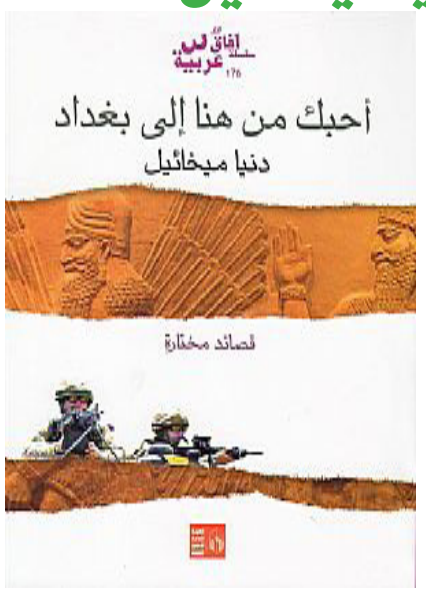

صدر حديثًا عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، ديوان "أحبك من هنا إلى بغداد"، للشاعرة دنيا ميخائيل، ضمن سلسلة "آفاق عربية" التي تصدرها الهيئة.

يتضمن الديوان مجموعة من القصائد التي تجمع بين متناقضين "الحب".. ذلك البعيد الذي تحلم الشاعرة بأن تعيشه، و"الحرب" ذلك الواقع المرعب والمربك الذي يسيطر على الوجود والعالم الذي تعيشه الآن، لتقف الشاعرة في النهاية في مفترق الطرق.. حائرة بين النقيضين.

(دعوا الحمام ينام)
ديوان جديد للشاعر بديع صقور

ضمن منشورات وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب صدر ديوان بعنوان (دعوا الحمام ينام) للشاعر بديع صقور.

يضم الديوان الجديد للشاع٣ر مجموعة من القصائد التي استمدت روحها الشعرية من دموع الثكالى ومن أحزان أمهات الشهداء فجاءت مسكونة بالوجع ومرهونة بالحلم والأمل في استعادة أشجار الوطن لأوراقها بعد أن تطرد عن أرضها بيادق الإرهاب التي أرادت تدمير سورية وحضارتها، وهذا الأمل يشكل محوراً هاماً في النسيج الفني والجمالي لقصائد الديوان التي تهيم بين سطورها زفرات عتب على واقع العرب الراهن ونفحات تفاؤل بغدٍ أفضل للوطن الغالي.. سورية الحبيبة .

شعريّة اللون
التّناصّات اللّونيّة، الشّعريّة والموروث

• أوس أحمد أسعد

يقول الشّاعر: " أيّها الرّسام عندما تطلّ بمرمرها فقطْ رشّ الماء "هل يمكن قراءة نصوص مجموعة شعريّة من خلال لوحة فنّيّة تحيط بعشبها كاملالغلاف،،أشبه بحديقة لونيّة ؟! هذا ماسأحاول اكتشافه في قراءتي الضّالّة هذه.مبتعداًعن جدل المدارسالفنيّة،وعن تحديد انتماء الفنّان إلى أيِّمنها.الذي يعنيني هو، تلك الإضافة الفلسفيّة اللاّمعة للّون التي أضفتْ سحرهاعلى فضاءات النّصوص الشعريّة ، مطعّمة باشرا قات الفنّان ، وبوحه اللّفظي المتمّم لبوحه اللّوني، يقول" ياسر حَمود" في استهلاله: (انتظرُ سقوطَ السّماء على أرضي لأرسمَ أبعادَها .. أبحثُ عن نقطة اختزلتْ كلّالخطوط .. وشوشني ذاك الضّوءُ مرّة :" اقتلْ الموتَ بالفنّ "/ تلك هي فلسفة الفنان بوضوح شديد ، فالسّماء كمفردة للعلوّ،هي أيضاً،قطعة قماش هائلة الأبعاد ومجال شاسعلريشة الفنان المبتهل،سيسقطها بقوّةشغفهاللّوني،لن ينتظرسقوطها كما يزعم ..!!.فلسفةٌ تقول بأنّ الفنّ هو أحد أشكال الصّراع الوجوديّ للكائنأمام تراجيديا الموت، فالفنّ كتجلّي ثقافيّإنسانيّ عميق هو وسيلة الكائنالرحيمة،الخلاقة، في مواجهة عدمه الذاتي، وعدمه الوجودي واغترابه الاجتماعي،وتشيّؤه ، وهاهوالفنّانيلبّي بطيب خاطر دعوة الشاعرلرشّ ماء اللّون كي تفترشَ الكلمات عشبَها،لتعبرالأنوثة متبخترةً إلى عليائها،في غيوبش اللّوحة وأعماق نبضها ، وهاهو اللّون بسهوبهاالشّاسعة رهنَ إشارة مبدعه، يُنيخُ أفياءَهلغزالات الشّعر كيْ ترعى وتتقافزَ بهدوء ودعة، ليغدوالقول الشّعري في ضيافة القول اللّوني،هل قلتُ: العكس..!! ونعمَ الضّيف والمضيف. سابقاً لم تكن القراءات لتَعير الكثير من الاهتمام لـ / لوحة الغلاف والاستهلال والإهداء،ومساحة البياض والظلال، وبقيّة الهوامش / التي اعتبرت من ملحقات العمل الأدبي ،إذْ كان يتمُّ التركيز على المتن فقط، وماتلك الإضافاتإلا مجرّد هوامش وحسب،وما سأحاوله، هوقراءة حضور اللّوحة ككلّ في النّصوص، أيّ حضور الإشارة اللّونية في فضاء المنطوق والمكتوب بما تستحقّه اللغة من ترحاب، وبما لايبخس اللّون فضّة إشراقه. فالفنونَ جميعاً ذات منبع واحد هو المخيّلة الخصبة المخضّبة بألوان الطّيف الوجودي والتقاطات الكائن، حيث تنبجسُ المياه الجوفية للدلالة طافيةً على السّطح لتأخذ تشكّلها اللّوني أو اللّفظي ، ثمّ لتتداخمتهاطلةً عبر ثقوب التّجلّي،تلك المخيّلة المدهشة المختزنة لطفولة الكائن ولا وعيه الجمعي، بمناقيرها المذهّبة تلتقط حبيبات " مفردات " الطبيعة منذ الجدّ النباتي الأول وحتى آخر حبة آس اختمر نبيذها في روح الكائن البيولوجي / الشاعر، سليل الدهشة . المخيلة الخلاّقة بما تكتنزه من خطوط وألوان ورموز ومفردات وصمت إشاريّ وهسيس داخلي يمتزج ككلٍّ يانع بفضل كيمياء الخلق مشكّلاً تربة الإبداع الخصبة،كلّ روحيمتصّ حسب استطاعة كائنه،بما يبيحه قوس قزح الأخذ وموهبة الالتقاط،ثمّة مخيّلة تمتدح اللون فتمتصّه في موشورهانسغاً تشكيليّاً،ليجد مجراه فيما بعد في تفاصيل اللوحة،حيثيغمسُ الفنّانريشتهُ الفارهة في محبرة الكون ليعيد تشكيلالجهات،وثمّة مخيّلة تمتدح الكلام وتمتصّه لتفيضعبريراع الشاعر ألقاً،ونبيذاً،ودهشةً ،وثمّة مخيّلة تمتدح هسيسَ الكينونةوتمتصّه بمجسّاتخلاياها لتنبجس الموسيقا من تضاريس الرّوح، ثمّ لتندلقَ على الوجود صفاءً ورائحة وماء.لوحة الفنان " ياسر حمود " هي إحدى تجليات هذا التّيه الذي شعرنَ اللون ولوّن الشعر بخضابه،باحتضانها الدّافئ، وألوان قوس قزحها المطير.فكما الشاعر يبتدعُ توليفةً غير عاديّة للكلام العاديّ كذلك شأن الفنّان، يقطفُ نبيذَ الطبيعة، روائحها،آخذاً من النّبات خضرتَه، ومن الماء فضّته ليعجنَ صلصاله الجديد، منقّباً عن نقطة اختزلت كل الخطوط،كصوفيٍّ كبير. أوكموسيقي" رجيم "يلتقطُ النّبضَ من أعلىزقزقة في حنجرة الوجود وحتى آخر وشوشة للزّهرة في مخيّلة البرعم، من أعلى افتتانلقامةَ الرّيح، وحتى آخر بسملةَ لجناحيّ فراشة يغفو على همسها عاشقان،كما كان يفعل " جاكسون بولوك "يلقيلوحته العملاقة على الأرض ملطّخاً إيّاها بالألوان، دائراً حولها برقص يكاد لاينتهي،ساكباً عليها عطر اللون وزيوتهَ كيفما اتفق من أوانٍ وأقماع،صاعداًالسّلّم المزدوج ليلقي بألوانه من الأعلى/ كذلك يفعل الفنان" ياسر حمود" باسطاً قماشه السماوي على الأرض،مبتدئاً رقصه الهذياني،حوله،قابضاً على جمر المفاجأة..ليسطّر حرقة اللون بكامل شهيقها وأمطارها ..تلكَ طريقته في اصطياد الدهشة،معتمداً التكثيف اللّوني بحيويّة لافتة،وحيث يجب التدرّج يجد للّون اشتقاقاتهالفذّة المتوهّجة، حسب نبض العلوّ وانخفاضه في اللّوحة، يهبُ الحرارة اللازمة أو البرودة الممكنة بما تتطلّبه مركزيّة اللّون السّائد والرئيسيّ والثّانوي، ليضفي البهار والبهاء اللازمين على مخلوقاته.هوالعبور إذن، من "جسم الإشارة إلى معناها" من مادتها الكثيفة إلى صفائها،وهذا لاتجيده إلا الأرواح العالية ،المثقفة، الواعية لدورها الاجتماعي،والثقافي،حيث الإشارة هي الصورة والمحتوى والمعنى الممتلك للقيمة الرمزية والذي يخدم النتيجة النهائية للنشاط الحسّي والعقلاني والمترجم الحقيقي للتجربة الإنسانية والاجتماعية والنفسية للكائن،فما كان يفعله " بولوك " لم يكن لعباً مجانيّاً باللّون بل كان يبتدع بريشته وفكره نظاماً عالياً "للصدفة "وما يفعله " ياسر حمود" هو ترويض للطبيعة وأنسنة للوحشيّ فيها ليصبح دافئاً وأمومياً وشاعريّاً..لامجرد ترف لوني.. تفرضه أرستقراطية فنّ شكلاني لاهدفله. والمتلقّي هو الحكم،فبوقوفه أمام اللوحة، سيستحضر فكره ومخيلته ،مقارناً بين الأشكال والألوان في اللوحة، وتجاربه البصريّة السابقة محاولاً انتاج معادلاته الخاصة لقراءة وتفكيك

مايراه عبر الكلمات .هكذا هو يقوم بجهد فكري وأدبي لفهم اللّون، يقول " أرسطو " : / الكلمات هي رموز لحالات النفس والكلمات المكتوبة هي رموز الألفاظ،مع أنّ الكتابة ليست واحدة عند كلّ الناس وكذلك الألفاظ،لكنّها تعبير عن الإنطباع المباشر نفسه المتشابه لدى كل الناس وبما أن الأشياء متطابقة، إذن هذه الكلمات هي عبارة عن صور / فأيّ رسم مهما كان نوعه وأي كلام مهما بدا شكلانيّاً، هو بالمحصلة مرهون بـ " الحيّز والعمق " ونظامنا اللّغوي معتاد على العمق المعرفي "البعد الثالث " حيث يسعى الكاتب عبر اللّعب بالمفردات، لخلق معادلات جديدة تعيد "أسلبة " الكلام، مخرجة إيّاه منَ مستواه الأفقي النحوي نحو فضاءات التّشكيل والرّمز والإيحاء.ومالأشكالالمتوضّعة على الخطوط الوهميّة التي تقسم سطح اللوحة، بشاماتها ونمشها اللوني ، بما تتركه من تأثير بصريّ، بتشابه فواصلها إلا انعكاساً لما يقوله الشاعر بشطحه الذي يعلوهامة البياض،ويسمو فوق المتعارف عليه من الكلام اليومي وما يقوله التّشكيلي بألوانه المبحرة في فضاء المنجز اللوني،حيث القيم الجوهرية تبدو كرسالة لفكره،متوضّعةً في أعلى اللوحة، لتكتسبَ صفة الرشاقة والخفّة والسّمو باقترابها من السماء،بينما الأشكال المتوضّعة في أسفل اللوحة تكتسب قدراً أكبر من الجاذبيّة الأرضيّة،لأنّها ذات تعبير راسخ وثقيل. كذلكهي قيم الشاعر المتراكمة في عمق الألفاظ بما تبثّه من شعاع معرفي وجمالي وثقافي،وكما الشاعر يلجأ إلى تدوير زوايا اللغة بأقصى حدّة فتتّسع مساحة التأويل عبر أسلوبيّة مبتكرة تعتمد التأخيروالتقديم،والتّكثيف،والأفعال الحاضرة المتواترة حسب المناخ النفسي الذي يمطرها، أو الجملة الإسميّة المختصرة للحشو،لخلق إيقاع جديد وشحنة تأثيريّة على المتلقّي كذلك الفنان،يقول " فرانسكتيل " : (إنّ مشكلة الإيقاع تتحكّم بكلّ تطوّر الفنّ التّشكيليّ وتتابع قيم وعناصر ودرجات اللون والخط والتركيز على بعضها بشكل منظّم يولّد نوعاً من الإيقاع

فالفنان لأغراض جمالية وتعبيرية يوجّه وينظّم تتابع وتكرار وتراجع وتقدّم هذه الدّرجات اللّونية وهذا التّقطيع نجده بكل اللّغات).الفنّان يخلق إيقاعه الخاص بالخطوط والألوان القويّةبتضادّاتها وحرارتها وبرودتها واشتقاقاتها المتدرّجة مستفيداً من لعبة الظلّ والنّور والبروز والفراغ لتتلاءم والمعنى النفسي المراد له، إذْ يُستثار الشعور البصري للمتلقّي من خلالها، وكما الشاعرالمتطوّر يضفي بتنوّع ضمائره ديمقراطيّة على نصوصه بحيث تبتعد أناه بأفعالها الحاضرة عن الهيمنة على النّص، كذلك الفنّان المثقّف، بجماليّات الطّبيعة وتسامحها ينوّع ألوانه ومناخاته النفسيّة متقمّصاً روحها الوسيعة خارجاً من ضيق اللّون الواحد، السوداوي مثلاً،إلى فضاءات التّشكيل اللّوني الأرحب.هكذا نرى تقاطعاتلوحة الغلاف بلعبة ألوانها ونبضها الضّاجّ بالحيويّة مع نصوص المجموعة، حيث تسبغ أمومتها على الكلمات الضّالة في حبر الشاعر المنفلت من القيود،فإذ باللون الأحمر النابع من عمق اللوحة ،لوناً مركزيّاً يوزّع هوامشه وتدرجاته اللّونية ليغدو البرتقاليّ اشتقاقه من الأصفر وإذبالظلّ أخضر والنّور برتقاليّ واللّون الوسيط أقرب إلى الدّاكن الخفيف مع اللّون الأخضر الرئيسي في اللوحة ليشكّل هذا الكلّ اللوني مخدّة اتكاءلنصّ"مازن" المعنون بـ" يوسف الطلييني: / أيّها الراعي المنهوب، اعطنا ملكاً من شتاتك ، أيّها المرعيّ حتى من العشب ، تفرّ وراء أغنامك ، تلحقك اللّغة والجهات تزقزق، تتجمّع ، تحتك، فوقك ، أشكال الحياة كلّها ، يا رفيق الطّيور والقطط الجائعة ، خذني إلى عشقك لنتقاسم حراسة النهار ولنترك الليل للعواء والهاربات الجميلات / وكذلك اللّون البنّي الترابي المحروق في اللوحة يشكّل التربة الخصبة لمقطع "بديعة " الذي يمثّل بدوره، حالة الخلق والولادة. تلك المرأة الريفية المعطاءة كالأرض يقول "مازن" : / وفي ليلة قمراء طفا قلبها على سطح من مطر، حضر شجر الحياة بكلّ انحنائه، والأنوار، احتضنتْ قلبها ، وجهٌ في أعالي البرق ، متشحٌ بالبياض، ممزوجٌ بالزّرقة .. / ثمّ يأتي اللّون النّاريّ المتشكّل من روح الأحمر والأصفر والأخضر في تموّجات هبوبه العاشق ، فصحيح أن الأرجوانيّ هو نتاج روح الأحمر وهي تتشرب قبَلَ الأصفر ولكنّهالاتكاد تستكين إلّا بمعانقتها للأخضر وتدرّجه الزّيتيّ الكثيف المتشبّع بالنبض، كذلك شأن نصّ"مازن" الحيويّ : / تأمّلَ البعدَ ، لم يرَإلّا كائنات تعوّدعلى مشاهدتها، ترفضُ الحلمَ والرّقصَ، فقرّر الحلمَ والرقصَ وحيداً، على خيطه الرفيع ،باتجاه الشمس.. / أو نصّه القائل: (الحبّ انسجام الحركة بين اثنين غرقاً في فيض من الموسيقا ، الحبّ، وطنٌ من الزيتون.). هكذا الماء/ الزّيت الرّاشح من مسامات اللوحة ككلّ يحتضنُ قول "مازن": / سألتني ماءً فطلعَ العشبُ على جسدي /. قراءتُنالنصوص المجموعة، من شرفة اللّون ،ستحيلنا بدورها لقراءة تذوقيّة أخرى تُباشر

النصوص من شرفة همسها لترى تقاطعاتها مع الموروث الجمالي والشفاهي ، أي تناصّاتها مع المحيط الثقافي التّاريخي،الذي يشكّل نصّ الذاكرة الكلّي،فهل ثمّة " نصّ" جديد بهذا المعنى؟!!هاهو العنوان بلعبته الذكيّةيبتدرنا منذ البداية بالمفاجأة، يعيد تشكيل وعينا للمفردة المألوفة (الخسارة ومفهوم الانتصار) لنرى رغبة الشاعر جليّةً في كسر المتعارف عليه،الذي اختطّه منذ مجموعتيه السابقتين / أعلق اللّوحة على حائطي /و / لستُ المكانَ المفضّل ليجلسَ على رأسي المقعد / وانتهاء بعنوان مجموعته الشّعريّة، الحاليّ / الرّهان.. من يصل.. ثالثاً / لنرى قصده واضحاً في إحداث الخلخلة للاعتيادي ومادرجت عليه الذّائقة السّمعيّة من وقع الكلام ، فالعرف العام الثقافي يصفّق ويروّج في سباقات حلباته لمن يصل أولاً أو ثانيا وكنوع من رفع العتب لمن يصل ثالثاً، بينما شعاع الضوء وبؤرته معنيّة فقط، بمن يصل أولاً، ولكن أن يكون الرّهان على الخاسر بمعنى ما / الثالث / ليغدو الأوفر حظّاً،وليصبح بؤرة الضّوء الأساسية ، فتلك معادلة أخرى يجيد "مازن" تشكيلها وهو الرّاكض دوماً في حلبات الدهشة يفتّش عن المُخبّأ والمهمّش والمسكوت عنه والمغيّب تحت قشور الثقافة السائدة وإذْ بجمهوره يجري معه متجاهلاً غبار المنتصرين التقليديّين " الأول والثاني "مراهناً على " الثالث " الذي يقيس المسافة بنبض روحه كالشاعر ويرشحه عرقاً رزيناً ..إنه يراهن على الخاسر/ الرّابح الفعلي الذي يختطّ طريقه الصّاعد ويحفرها بمعول مكابدته ، حيث للخسارة ربحها الأكيد في مقياس الزمن والشعر وما الرابح السريع سوى فقاعة ملح سرعان ما تذوب كزبد البحر المتكسّرعلى صخور الشاطئ، وما يبقى فقط ،هو ذاك التّشكيل الفنّي الرائع لروح الماء وهو ينقش صورته على صخور الشاطئ، مانحاًللصّخرة معناها الشامخ كآبدة تاريخيّة شاهدة على ملحمة البقاء ، فالخسارة مُجرّد مصطلح نسبي ومنافقَ أيضاً ، و"مازن " يميل كما مال "الماغوط "سابقاًإلى الخاسرين وإلى التنسيق معهم. إلى تلك الكتلة الصامتة المندهشة دوماً، مع أنّها التربة الحقيقيّة لكلّ عطاء وخلق ،وهي نحن عموم البشر (الفلاح ، الراعي المهجور إلا من أغنامه والمرعي حتى من العشب ، الريفيّة البسيطة تنتظر هبة السماء لتسكت أفواه المشكّكين بخصوبة رحمها الذي لايلد الذكور ، الأنثى المرفوضة من الجميع،الكائن المهمّش أينما وجدَ / هؤلاء الخاسرون جميعاً هم جمهورالشّاعر الذي سيصل أولاً . وكلماته ملتقطةٌمباشرة من أفواههم وأنينهم يقول: (أيّها الراعي المنهوب (...) أيّها المرعيّ حتّى من العشب) ثمّ يقول مستحضراً هيبة الزيتون وطهره : (نقيّاً كحبّة زيتون جميع ألوان الطيف زينته، يلهو بالبرق، يحلم كعصفور بلا عرس ، بلا وطن ، بلا ألوان) فمن كان بنقاء الزيتون ليس بحاجة لوطن أو أقمار أو أعراس لأنّ الزيتون وحده وطنٌ كامل. هذا ما قاله كاتبٌ، يوماً ما.. معنوناً مجموعته القصصية " بلاد كالزيتون " فمواسم قطاف الزيتون الجماعيّة أعراسٌ مشرعةٌ على العشق المكتوم ..وأرتال الرّيفيات وهنّ يمتطينَ ضبابَ أحلامهن رافعات قباب الروح إلى أقصى هبوبها. بغنائهنّ العذب يستمطرن قوسَ قزح أقمارهنّ، كي ينحني قليلاً ليتزحلقَ عليه العشاق ويختفوا وراء الأكمات عن أعين الوشاة. وهاهو شاعرنا يسقط مقولة "الحرية" من برجها العاجي في مخيّلة المنظّرين، ماسحاً عنها الغبار المتراكم في القواميس ،منتشلاً إيّاها من عالم السياسة المتشعّب لتغدو مفردة يومية تليق بمواطن حرّ،داعياً للحوار مع الآخر الموجود دوماً بحكم الشرط الموضوعي لوجودنا نفسه، والذي بدونه لن تكتمل معادلة البقاء..ولكن أيّآخر..!!يقول بزورباويته المعروفة" (الحريّة أنْ تهدي الذئب نصف دجاجاتكَ، أنْ تزرعَ وردة على نافذة خصمكَ،أنْ تذهبَ مسافة نهار لتشاركَ بفرح من لا تعرفه،أنْ تحتضنَ امرأة رفضها الجميع).هكذا تمضي المجموعة الشعرية" الرهان.. من يصل ثالثاً"متوفّرةً علىالكثيرمن الالتقاطات الذكيّة الحاضرة البديهة،بمفردات يانعة مقطوفة للتّو من ضحكة حصى النهر، من تعانق غصنين أخضرين على جذع يابس...من بكورة الخلق،حين كان الإسم والمسمّى سلافةً واحدة. انظروا معي كيف يمتصّ " نص " مازن النصّ الديني والشعبي لتتمرأى صورة الآخر فيه..دونتكلّف،يقول: (من كثرة ماأحبّ العرب الله، أكلوه) ألا يذكّرنا هذا بالقربان.وطقس التهام الخبز المسيحي..ممثلاً لجسد السيد المسيح.. ، ثمّ ألم يأكل العرب قديماًآلهتهم من التّمر؟!.أليسَ الله جوع الكائنإلى الجمالي والمتعالي، إلى الماوراء إلى الميتافيزيق؟ !!.كيف لديانة أنتلقى تعاليمها القبول، لولا امتصاصها للجمال الروحي والحسّيّ الذي تنشره زهرة الوجود فينا ؟!. من قال أنّ السيف ينشر تعاليم دين .إنّه ينشر ديناً سياسياً وحسب وهذا ليس موضوعنا..وثمّة مقولة أخرى يتناصّ معها" مازن "في موروثنا العربيّ على الأقل ،مقولةٌ تخشى الضّحك وترجعهُ إلى القوى الظّلامية تقول: (الله يجيرنا شرّ ها الضحكة) تتحوّل في نصّ "مازن " إلى صورة ساخرة من ناس يحبّون الفرحويخشونه، يريدون الحياة ويهابونها يريدون الحرية ويخافونها، يقول: (اللهم اجعل هذا الضحك على خير،لا تؤاخذنا نحن نعرف حقّ المعرفة بأنّنا مرهونون للسّحل فقط).وثمّة تناصّ آخر تتقاطع مفرداته مع الأسطرة والحلم وبدايات بروز الدافع الديني الفطريّ،حيث كانت الوثنيّة شكلاً من أشكال الديانات الطّوطمية،يقول" مازن": (لابدّ من الأسطورة كدليل على التوازن الذّاتي،فعلى الأقل لابدّ أن نصدّق كيف " آمون " أحيا الميت) .وفي انتباهة لافتة،يضيء الشاعر نفقاً مظلماً من القيمَ والأعراف والشعوذات التي تكرّس قيم الذكورة وتعلي من شأنها على حساب قيم المؤنث، وبأنّ المرأة إذا لم تنجبْ ذكوراً فهي عاقر بمعنى ما .! فالسلالة تُحفظُ من خلال الذكر فقط.!!.ولكنْ هاهي المعجزة تحدث،والطّبيعة تستجيب لشبيهتها في الخلقوالعطاء،يقول مازن : (رأسها يعجّ بالأسئلة والنسوة يشينَ على مسامعها بالتّرهات " لاتنجب ذكوراً" (...) وجهٌ في أعالي البرق،يهتف لذاك الملاك : عمْ خصوبةً أيّها الرّحم ،تدلّهي أيّتها المرأة ،مكلّلةً بالحور والسّنديان).هكذا تمضي المجموعة بلمعاتهاالشّعرية،متزنةً واثقة من أدواتها ومفرداتها،نابضةً بالكثير من الشّعر لتلامسَ فينا منابعَ الفطرة التي كادتْ تجفّ من كثرة التّشيؤ والاغتراب حتى غدا سؤالٌ عبثيٌّ، واحدٌ، قادرٌ، على تكثيف حضورنا البيولوجي الغريب، في هذا العالم،الذي ينحدرُبكائنه الحديث،نحو الوحشيّ من القيم،يقول مازن : (لجَيناتنا،سؤالٌ واحدٌ ، من أنتم ..؟!!ـ

الرّهان...من يصل ثالثاً ـ للشاعر مازن الخطيب ـ لوحة الغلاف.للفنان. ياسر حمود ـ المجموعة صادرة عن دار التكوين./ دمشق..أواخر ٢٠١٤م

قراءة في مسرحية حارس المطخ لسمير مطرود

• نبوغ أسعد

حين قرأت مسرحية حارس المطخ بدقة وتمعن مع مراعاتي لكل تفاصيل المسرحية التي شدت انتباهي بأحداثها الحزينة والمؤلمة عن ذلك الشاب الذي يدعى صالح وعن طفولته البريئة والمسحوقة التي جعلت منه إنساناً مهزوماً لا يستطيع أن يواجه أي عائق يعترضه في حياته لعدم توفر القوى والسند اللذين يجعلان الإنسان قوياً مما جعلت صالح يهرب من واقعه إلى الغربة حيث المطخ الأكبر .. وبعد هجرة طويلة يعود طبيباً مشهوراً إلى تلك القرية ليجد أن الزمان والمكان ما زالا على حالهما وكأنه لم يتغير شيء طوال تلك السنين فيرى صالحاً نفسه في بوتقة الذكريات المؤلمة حيث كان يعتقد بأنه قد نسي تفاصيلها وبأن أهالي قريته نسوا أيضاً ابن الخادمة فتشتعل نار الحقد والألم بداخله على عمه وعلى كل من كان سبباً في قمعه وسحق شخصيته والظلم الذي وقع عليه من قبل أهالي القرية وحتى حبيبته التي عشقها وأحبها بجنون لم يكن يجرؤ على الاقتراب منها والاعتراف بحبها أمام الناس فضعفه ولد بداخله الخوف وعدم البوح مما دفعه للهروب زمناً طويلاً تحاصره الذكريات بطريقة هستريائية رغم وجود أشياء الجدة التي كانت تدعمه وتحبه وتدفع به لكي يكون شخصاً قوياً وقادراً على مواجهة مصيره المؤلم وصورة الأم التي تتعرض للأذى من قبل السرسوقي الذي أصبح والده في ما بعد والذي كرهه قبل أن يرى وجهه .

يتابع الكاتب سرد أحداث المسرحية بشكل درامي متحرك وفق انفعال متصاعد تجري أحداثها في مكان واحد مراعياً بذلك كل مقومات النص المسرحي السردية ودون الخلل بأي بند من بنود المسرحية الموسيقى التصويرية والأضواء والمرايا والخشب وحتى تناغم أصوات الأجراس المعلقة برقاب الغنم مع صوت الناي كل هذه الأشياء تظهر للمتلقي بشكل أقرب للواقعية والجمالية بوصفه للمكان المحبب رغم بساطة البيئة وضمن زمن ما وفي قرية ما وكأن الكاتب يريد لصالح أن يعود لنفس الزمان والمكان لاستذكار ما جرى ولإطلاق تلك الصرخة في وجه هؤلاء كلهم ليقول لهم ها أنا قد عدت طبيباً قوياً لست مبالياً لسخافاتكم وترهاتكم ولا عدت اهتم لبطش العم وقوة الأغا .

أراده الكاتب أن تكون صرخته وحديثه مع المرايا هي مع العالم برمته لإثبات وجوده وليصبح جديراً بحواء قمر القرية التي كانت تراه كباقي أفراد الأسرى ابن الخادمة والضعيف أمام جبروت كبار القرية .. لكنها أرادته رجلاً قوياً يقف بوجه الريح ويدافع عن نفسه حتى لو تعرض للأذى هي لم تكرهه يوماً بل تكره ضعفه أمامهم إلا أنه فات الأوان وأصبحت قمر القرية لها حياتها ومع رجل آخر .

يلملم صالحاً ما تبقى من ذكرياته فيأخذ طقم أسنان جدته والدمية والتي كانت تقول عنها والدته بأنها أخيه يحمل الحقائب وينوي الرحيل وبذلك نجد أن المسرحية هي عبارة عن حدث يميل للواقعية وأحداث قد جرت على أرض الواقع في زمن ما نرى من خلالها أن الإنسان لا يستطيع أن ينسلخ عن بيئته مهما ابتعد عنها وغير من طباعه وشكله وبأن الذكريات تفرض عليه العودة لبوتقة الماضي مهما كان مؤلماً وجارحاً يعود المكان ليظلم من جديد وتختفي الأضواء والمرايا ويختفي شريط الذكريات فيجد نفسه وحيداً أمام قمر القرية وكأن الزمان قد توقف هنا .

رسالة إلى جار عالم
قصة للكاتب الروسي أنطون تشيخوف

• ترجمة: خلود الحسن

جاري العزيز مكسيم... جُد عليَّ بالمعذرة لنسياني بقية اسمك، ولا تؤاخذني، أنا الهرم العتيق والمخلوق الغبي، لجرأتي على إزعاجك بهذا الكتاب الذي ينطوي على الثرثرة، والسخف.

مضت سنة كاملة على تفضلك بسكنى هذا الجزء من العالم، مجاوراً لي –أنا الذبابة الحقيرة – لكنني لم أتعرف إليك طوال تلك السنة، كما أنك مازلت تجهلني تماماً، فهل تأذن لي الآن، أيها الجار العزيز، بأن أتعرف إليك، بواسطة هذه الرسالة، وأن أصافح يدك العالمة!.. وأرحب بمقدمك من بطرسبورغ، إلى منطقتنا الرّيفية هذه، التي لا تُليق بمقامك.

لا أذيع سراً، إن قلت لك: إنني كنتُ دائم التفكير، في كيفية الوصول إليك، لأنَّ العلوم هي أُمنا المبجلة، وهي والمدنية صنوان، وهذا ما دعاني لأن أحترم ذلك الرّهط من الناس، الذين ذاع صيتهم، بأحيطوا بهالات المجد، وأكاليل الغار، وتحلّوا بالأوسمة والأوشحة، وراحت أسماؤهم تدوي كالرعد في جميع أرجاء العالم المرئي، وغير المرئي.

إنني أحب الفلكيين والشعراء والكتاب والطبيعيين والكيماويين وغيرهم من كهنة العلم الذين تعدُّ نفسك أحدهم بفضل ما قدمتهُ من براهين واقعية، وما توصلت إليه من نتائج وثمرات وما وضعته من مصنفات ومؤلفات إبان جلوسك بين أدواتك وموازينك وكتبك الأجنبية المحلاة بالصور المغرية..

لقد زارني مؤخراً في أملاكي، أو في أنقاضي وخرائبي، جاري السيد جيراسيموف، ولما تناولنا الحديث عنك، هاجم آراءك بصدد منشأ البشر، وغير ذلك من مظاهر العالم المرئي، وثار على جوك الفكري النيِّر، وعلى أفقك الذهني الرائق، إلاَّ أنني لم أوافقه على اعتراضاته، لأنني أحيا بالعلم وأتغذى بلبانه، ذلك العلم الذي هيأته العناية الإلهية للجنس البشري، ليتمكن بمعونته من استخراج المعادن واللآلئ من بطون الأرض.

ومع ذلك فالمعذرة يا جاري العزيز إذا أقدمت – أنا الحشرة التي لا تكاد تراها العين – ودحضت بعض آرائك...

أفادني جيراسيموف، أنك وضعت كتاباً عرضت فيه مسائل على درجة عظيمة من الأهمية، تدور كلها حول كيان الإنسان الفطري الذي عاش قبل الطوفان، لقد تكرمت وذكرت في كتابك هذا أن الإنسان تحدّر من فصائل المارموزبت والأورانغ أوتانغ، وهلّم جرا، فهل لك أن تعذرني إن خالفتك في هذه النقطة الهامة، وأدليت لك بحجج توقفك عند حدك؟...

إعلم أننا - نحن بني الإنسان –سادة الكون، وأنبه جميع الأحياء التي تدب على الأرض، فلو كان مردّنا إلى القردة الجاهلة البلهاء، لكان لنا أذناب، وأصوات وحشية، ولكان النَّوَرُ يطوفون بنا في المدن والقرى، فيتلهى بعضنا برؤية بعض ونحن نرقص، أو نجلس القرفصاء في أقفاصنا الحديدية!..

قل لي يا جاري العزيز: هل تكتسي أجسامنا بشعر القردة؟!... وألاَّ نتدثر بملابس حُرم منها ذلك الحيوان؟.. ثم.. هل كان بمقدورنا أن نحب المرأة لو فاحت منها روائح كالتي تفوح في حديقة الحيوانات؟.. فلو كان أسلافنا قد تحدروا من القردة، فهل من المعقول أن يُدفنوا في مقابر مسيحية؟!...

إن جدّي الأكبر أمفروسي الذي عاش في أيام السيادة البولونيّة، دفن إلى جانب الراهن الكاثوليكي واكيم شوستاك، ولم يدفن بوصفه قرداً!...

أستميحك العذر، لأنني تدخلت في شؤونك العلمية، وفرضت عليك آرائي الهمجية الخرقاء، هذه الآراء، التي إذا اطلع عليها العلماء والمثقفون، فسرعان ما تدخل إلى معدهم قبل رؤوسهم!.. ولكن ما عساي أن أعمل، وأنا لا أقدر على الصمت إذا ما رأيت العلماء يفكرون كما ينبغي عليهم أن يفكروا..

وأحاطني «جيراسيموف» علماً، بأن لك نظرية خاطئة بصدد القمر أيضاً، آمل ألاَّ تهزأ مني – أنا الرجل الهرم – إذا ما لمستَ سخفاً فيما أكتبه لك..

أجل!.. تفترض أنت أنَّ القمر تسكنه قبائل بشرية تنتشر في جميع أنحائه، لكنني أجرؤ وأدحض افتراضك هذا بقولي: لو أن القمر مأهول، لسترت بيوته، ومزارعه عنا نوره الساحر الأخّاذ!... ولا نقطعت عنا الأمطار، وآل مصيرنا إلى الهلاك، لأنَّ المطر يسقط من عل على الأرض، وليس على العكس، ولوقع سكانه على الكرة الأرضية، وهذا أمر لم يحدث قط...

ثم ألاَّ يغمرنا القمر بأقداره لو كان مسكوناً؟!.. وهل يتمكن ساكنوه من البقاء على سطحه إن أحسوا وجوده ليلاً فقط وافتقدوه نهاراً؟!.. ثم هل تسمح حكومات الأرض للناس بسكنى القمر، ولا تخشى من أن يصبح مأوى للعصاة والمجرمين؟!..

وقال لي «جيراسيموف» أيضاً: إنك ذكرت في مؤلفك الثمين أن في الشمس، وهي أعظم كوكب منير، كلفاً أو بقعاً سوداء، غير انني أنفي ذلك نفياً قاطعاً. وأسألك، كيف تمكنت من رؤية تلك البقع، أنت عاجز عن التطلع إلى قرص الشمس؟.. ثم ما الفائدة من تلك البقع؟ ومن أية مادة مائعة تتكون؟!... وألا تجففها حرارة الشمس؟! يخيل إليَّ أنك تعتقد أيضاً بوجود أسماك تسبح في تلك البقع! سامحك الله...

أي جاري العزيز، هل لك أن تعذرني – أنا الغبيّ – لأنني حاولت تحديد بعض المسائل العلمية بمثل هذه الترهات؟! ألا اغفر لي مواقفي هذه، وتأكد بأنني قد كرست حياتي لخدمة العلم فغدت أجنحته بمثابة ستار يقوم مابين عيني، ونزوات المال.

إن كل اكتشاف يكتشفه العلماء، يسبب لي آلاماً كالآلام الناتجة عن وخز المسمار في الظهر!.. وبالرغم من جهالتي – أنا الملاك القديم – فإنني أتابع أعمالي في حقل العلوم والكشف، وأصنعها بيدي!.. وأملأ رأسي التافه، وجمجمتي المتوحشة، بمجموعة من الأفكار الهامة، والآراء العظيمة. إنَّ أمنا (الطبيعة) هي سفر جليل علينا أن نطالعه ونشاهده!... أخبرك أنني توصلت إلى اكتشافات عديدة بمجهودي الخاص، اكتشافات لم يسبقني إليها أحد.. وأقول، غير متبجح، إنني حصلت على معارفي بجهدي وعرق جبيني، لا بثروة والدي، فثروة الآباء كثيراً ما تقضي على الأبناء بما توفره لهم من جاه عريض، ومساكن ذات ستة طوابق، وخدم، وأجراس كهربائية، فهاك ما اكتشفه عقلي الرّخيص: اكتشفت أنَّ شمسنا الكبيرة – المتدثرة بثوب من الأشعة النارية – تطلع على الكون في أحد الأصباح، ومرة في السنة فقط، بمجموعة نفيسة من الألوان المتناسقة، فتخلع عليه بريقاً عجيباً، يأخذ بمجامع القلوب.. ثم توصلت إلى اكتشاف آخر: يتساءل الإنسان كثيراً عن سبب قصر النهار في فصل الشتاء، وطول الليل فيه، في حين تنعكس الآية في فصل الصيف..

فتفسير ذلك، أن النهار يقصر شتاء لأنه يتقلص من البرد، مثل كل الأشياء المرئية، وأن الليل يطول، لأنه يتمدد بفعل نيران الموقد، ومصابيح البيوت والشوارع!..

واكتشفت أيضاً أن الكلاب في فصل الرّبيع تأكل النباتات مثل الخراف... وأن القهوة تؤذي أصحاب الأمزجة الدموية من الناس، فهي تحدث في رؤوسهم دواراً، وفي عيونهم غبشاً...

وتوصلت إلى اكتشاف أشياء كثيرة أخر، مع أنني لا أحوز شهادات ثانوية أو جامعية.

تعالَ إلى بيتي –يا جاري العزيز – فعسى أن نكشف شيئاً معاً، وندرس الآداب معاً، وأتلقى عليك دروساً شتى في الرياضيات.

قرأت منذ أمد غير بعيد أن أحد العلماء الفرنسيين وجد أن هيئة الأسد لا تشبه أبداً ملامح الإنسان!.. وهذه نظرية لها خطورتها، أترك التحدث عنها إلى أن نلتقي في القريب العاجل، فتكرم واحضر إلى بيتي، ولك أن تحضر غداً مثلاً.

حقاً إننا الآن صائمون، ممتنعون عن أكل اللحوم، لكننا سنهيئ لك على كل حال طعاماً متواضعاً، وأعلمك أن ابنتي نتاشينكا ترجوك أن تجلب لها معك بعض الكتب العميقة الأفكار، فهي فتاة طموحة تعتقد أنها تنفرد في العقل والإدراك، وأنَّ كل ما حولها من الناس ليسوا إلاَّ جهلة أغبياء..

سيزورني بعد أسبوع أخي إيفان، فهو رجل طيب القلب، لكنه ملكيّ النزعة، ولا يميل إلى العلوم.

وسيحمل رسالتي هذه إليك خادمي تروفيم، وسيسلمك إياها في تمام الساعة الثامنة مساءً، فإن جاءك متأخراً، فاعلم أنه عرّج على خمّارة، واصفعه على وجهه صفحة أستاذ قدير!...

لستُ أنا أول من يبتكر عادة التزاور بين الجيران، ولا آخرهم، ولذا، أُلحُّ عليك لتزورني فاحضر أرجوك، واجلب معك كتبك وأدواتك، لقد كان بودي أن آتي بنفسي إليك، لكنني جدّ خجول، وتنقصني الجرأة الأدبية..

أخشى أن أكون – أنا الرجل الرّجس – قد أزعجتك برسالتي هذه، فمعذرة.. وتفضل بقبول احترامات جاويش الفيلق القوزاقي المتقاعد، والمتحدر من صلب الأشراف جارك واسيلي سيمي بولاتوف.

وجه من العالم

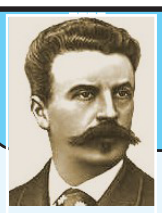

غي دي مو باسان

«كان عليه أن يظهر ويروي قصصه؛ ليحبه على الفور كل إنسان"

إميل زولا

هو كاتب وروائي فرنسي يعدُّ مؤسس القصة القصيرة الحديثة... ولد غي دي موباسان عام في السادس من تموز عام ١٨٥٠، في قصر «ميرو برو مسنيل) بنورماندي الفرنسية.. من أب هو سليل أسرة أرستقراطية عريقة أفلست، فربته أمه تربية صالحة، على الرغم من حزنها على أخيها الأديب الذي كانت تطمح أن يكون أديباً مشهوراً.. وفي السادسة من عمره انتقلت أسرته إلى القصر الأبيض بالقرب من قرية (أتريتا)، حيث نما وترعرع وعاش أجمل أيام طفولته، وقد ظهر هذا الوصف جلياً في الكثير من قصصه.. أحبته أمه الأدب والمطالعة وشغفت بها، وكانت على اتصال بصديق أخيها الكاتب الشهير (جوستاف فلوبير) مؤلف الرواية الشهيرة (مدام بوفاري)، ولذلك اهتمت بتعليم ابنها، الذي كان يهرب أحياناً من أجواء الدراسة إلى التسكع على شاطئ البحر، ومخالطة الصيادين والبحارة، ومشاركة الفلاحين مباهجهم، وحلقات سمرهم، وفي المساء كانت أمه تقرأ له مسرحيات شكسبير، حتى بلغ الثالثة من عمره، حيث درس في معهد ديني حتى حاز على البكالوريا، وبدأ يتلقى دروساً في القانون، إلى أن نشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا، فترك الدراسة، والتحق بقسم الإمدادات بالجيش الفرنسي، فكان يقضي أوقات فراغه في المطالعة والقراءة وكتابة القصائد الغزلية.. تعرف موباسان إلى فلوبير هذا الكاتب الذائع الصيت، فأحب أن يكون معلمه الذي يقوده إلى عالم الأدب، حتى إنه ظلَّ سبع سنوات يذهب إليه أيام الأحد حاملاً قصائده وقصصه ومسرحياته.. فكان يبدي له ملاحظات نقدية حتى قال له في يوم من الأيام: «إذا كان لديك أصالة فعليك أن تُظهرها، وإذا لم تكن لديك فينبغي أن تخلقها، وما الموهبة سوى صبر طويل.. إنها تتضمن النظر إلى كل شيء يسعى المرء إلى وصفه بدقة كافية وبوعي كاف، إن أبسط الأشياء تنطوي على نقطة ما مجهولة فيها، إن أبسط الأشياء تنطوي على نقطة ما مجهولة فيها، فلنبحث عن تلك النقطة، فلأجل أن نصف ناراً تشتعل أو شجرة في حقل، ينبغي لنا أن نقف أمام تلك النار أو تلك الشجرة، إلى أن تكف عن أن تبدو كأية نار، أو شجرة، أخرى»... وبعد ذلك تعرف موباسان إلى الأديب الكبير إميل زولا، نشرت له القصيدة الأولى في سنة ١٨٧٩٨، وتلاها مسرحية تحمل عنوان (تاريخ الأزمنة القديمة) ولقيت نجاحاً ملحوظاً، ثم كتب قصته الطويلة «كرة الشحم» التي قرأها فلوبير وأرسل إلى جي يهنئه عليها، ولكن الموت اختطف منه أستاذه الأول جوستاف فلوبير بالسكتة القلبية، فداهمه الحزن الشديد الذي انعكس على معظم قصصه، ولعلَّ موباسان هو أول من كتب القصة القصيرة في شكلها الحديث المتكامل، على الرغم ممن سبقوه مثل (مارك توين، وإدجار آلان بو)، حيث رأى أن القصة القصيرة لا تحتاج إلى الوقائع الخطيرة، والخيال الخارق، بل يكفي الكاتب أن يتأمل في الأحداث العادية، والأفراد العاديين، لكي يفسر الحياة، ويعبر عن خفاياها من خلال موقف أو لحظة من لحظاتها، سجل «جي دي موباسان» القصة القصيرة باسمه، كما يسجل المخترعون اختراعاتهم، وصار من أشهر كتاب القصة في فرنسا والعالم كله.. وقد وصفه الرسام الشهير «فان جوخ» بقوله: «إنَّ خير ما أعمله هنا أن أرسم النساء والأطفال.. لكن لن يسعدني كل السعادة إلاَّ أن يولد بين الرسامين من يضارع جي دي موباسان بين الكتاب».. وتتالت إبداعاته.. حتى دخل في صراع مرير مع المرض القاسي في شهر آب في السادس من يوليو عام ١٩٨٣م، مما أدى إلى وفاته.. بعد أن ترك العديد والعديد من المؤلفات الرائعة: «حياة امرأة، الصديقة الجميلة، بيتر وجون، إيفيت، الغوريلا، كرة الشحم، العقد الماسي، المظلة، قطعة الخيط..»..

قراءة في المجموعة القصصية «سخريات الظلال» للدكتور محمود موعـــد

•ياسين فاعور

((سخريات الظلال)) المجموعة القصصية الثالثة للدكتور محمود موعد بعد مجموعته ((رباعيات الموت والجنون ١٩٧٨ - فحيح المرايا - ١٩٨٨))، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٩٨، وتقع في مئة وسبع وأربعين صفحة، وجاءت في جزأين: سخريات صغيرة، وغبار السنين.

يضمُ الجزء الأول سبع عشرة قصة قصيرة، ويضمُ الجزء الثاني عشر قصص قصيرة. أطول قصص الجزء الأول قصة ((الاختبار))، وتقع في تسع صفحات، وأقصرها قصة ((ممنوعات))، وتقع في صفحتين. وأطول قصص الجزء الثاني قصة ((درس الخامسة من يوم الخميس))، وتقع في سبع صفحات، وأقصرها قصتا ((الراعي الصغير ومدينة الأحلام))، وتقع كل منهما في أربع صفحات. قُدِّم لها على غلاف المجموعة الثانية <<تضمُّ هذه المجموعة قصصاً قصيرة، وأخرى قصيرة جداً، وهي تمتاز بالروح الساخرة التي عذَّبتها مرارة المواقف والأحداث، والشخصيات في هذه القصص واقعية ومتخيلة، وذات علاقة حميمة بأحلامنا، وذلك يأتي عبر أسلوب أدبي رفيع، وبناءات قصصية على درجة كبيرة من الاتقان والرفعة>>.

يضمُّ الجزء الأول سخريات صغيرة إحدى عشرة قصة قصيرة جداً عُنونت بـ((قصص واقعية في عيد الحب))، وقد ذكَّر القاص بتاريخ هذا العيد <<الرابع عشر من شباط (فبراير) من كل عام>>، وتميزت هذه القصص بطرافة الموضوع، وجاذبية الطرح، وسخرية النقد، السخرية المحببة التي تدغدغ المشاعر وتثير الضحكة، وتمحورت حول الزهرة الحمراء <<أنت أجمل زهرة تضيء في كل الفصول جمالاً وبهاء>> (ص: ١٦)، وافتنَّ القاص في تقديم هذه الزهرة واقعاً وخيالاً، لوناً وتلويناً، كما صوَّر المحبَّ والحبيبة، وعيد الحبِّ وهداياه <<من سيارة ودبب وورد وشرائط ملوَّنة>>، وما يرافقُ هذا العيد من اختفاء الورود الحمر وارتفاع أسعارها، والمحبُّون وأزهار الحبِّ حتى على قبر الحبيبة حيث <<فوجئ زوَّار المقبرة الواسعة بقبرها أحمر من الرأس إلى القدمين، فأخذتهم الدهشة، ولم يصلوا إلى تفسير مقنع لهذه الظاهرة الخارقة>> (ص: ١٩).

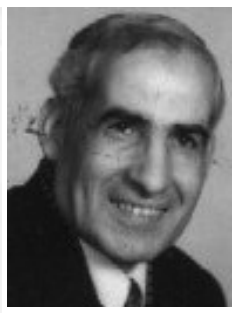

وتناولت قصص الجزء الأول موضوعات تميَّزت بطرافة الموضوعات، وجاذبية الطرح، والنقد الإصلاحي <<نقد الواقع الاجتماعي والاعتراف بالذنب في قصة (الاختبار)، وشكُّ الزوجة القاتل ووفاء الزوج في قصة (ومن الحبِّ ما...)، وشكوك المرأة بالرجل والرضا بشر لابدَّ منه في قصة (فشَّة خلق)، وتحوُّل المستشار إلى مستشير في مشكلة مضى عليها خمس وعشرون سنة في قصة (وأخيراً... وصلت الرسالة)، ونقد المجتمع الأوروبي وسلوكياته في قصة (قطط لا كالقطط)، ونقد للاحتكار، وتجارة البيوت، وسرقة الأموال في قصة (الصعود إلى الهاوية)، ونصح الآخرين ونسيان الذات في قصة (مسؤولية)، وتوجيهات الطبيب وممنوعاته التي أقلقت المريض <<فما كان منه إلاَّ أن أخرج (الكشفية) المعلنة على الباب، ودسَّها في يد الطبيب الناعمة كالحرير. وخرج يبحث عن نسمة هواء في هذا الجو الرصاصي الثقيل، وعن مسرَّات جديدة في رحاب الموت القادم>> (ص: ٥١).

في قصة (ممنوعات)، وقسوة الحياة، ومرارة الوحدة <<وبعد هذا وذاك أنا بشر من لحم ودم و... يكفي أن تكون في البيت رائحة رجل! وأنا قد اعتدته فلم لا نكون معاً في النهار والليل؟ أحرامٌ أن تكون المرأة مستورة في آخر حياتها، وتجد من يواريها التراب، إذا جاء صاحب الأمانة يطلب أمانته؟!>> (ص: ٥٥).

والأحلام التي لا تتحقق، والحلم الأخير في الثروة من زواج المرأة من الرجل الغني الذي لا وريث له <<وحين أقبل الموت، وأنجز فعلته مع أبي ماجد، وبعد انقضاء أيام العدَّة، وجدت ليلى أنَّ ليلى التي تعرفها قد ماتت منذ نطقت بكلمة موافقة>> (ص: ٥٩).

ومراقبة الحلم، واللعبة الخطرة، فقد قبلت به لأنّه سيحقِّق لها كثيراً مما كانت محرومة منه <<تدرك الآن أنَّه لم يأت إليها لحسبها أو لنسبها، أو علمها، أو مركزها، أو أيِّ

شيء من ذلك، تدرك أنَّه أتى إليها لجمالها، لتكون زينةً لبيته، ولرحلاته، ولجلساته مع الأصدقاء ليتباهى أمام الجميع بأنَّه يمتلك (جوهرة) نادرة، وأنَّه عقد (صفقة) العمر بخطبتها>> (ص: ٦٣).

وصحوة المرأة في قصة (امرأة في خطر)، المرأة التي لم تقرأ جيداً تاريخ الرجال <<كان الصياد وكنت أنت الفريسة>> (ص: ٦٥)، لتصحو من شرودها <<لم يبق - أيتها المضبوعة - إلاَّ أن يرتطم رأسك الصغير الجميل بصخرة المغارة - ليتفجر دمك الحي، فتفيقي من خدرك، وتصحي على نفسك عارية في البريَّة، وتلملمي بقاياك، وتستري عُريِّك بما وصلت إليه يداه من أوراق وأزهار وأشواك، وتعودي من حيث أتيت: فهل تفعلين؟!>> (ص: ٦٨).

والدعوة لصحوة الضمير، والحفاظ على أرواح الآخرين في قصة (اربطوا الأحزمة... رجاء) <<ها أنذا، والعام يوشك على الرحيل، أجيئكم راجياً أن تقودوا سياراتكم على ريث، على نبض قلوبكم، ولا تتعجلوا الوصول، حتى لا تضيع، تحت عجلاتكم، طفلة كعبير، أو عروس كازدهار، أو عصفور صغير، وحتى لا يكتب عليكم أنكم أصبحتم في قائمة الذين أطفؤوا حياة بريئة>> (ص: ٧٣).

وأحداث الحياة كثيرة لا تنتهي، والأمثلة على ذلك كثيرة، والدنيا ما تزال بألف خير، وستبقى في قصة (ومع ذلك)، واعتذار الدكتور أمين عن أن يحتل المنصب الكبير خير شاهد على ذلك <<هذا الكرسي أكبر مني، وثمنه غال، وليس في استطاعتي أداء أقساطه، واختيار علي القبور بدلاً من القصور...>> (ص: ٧٣).

وما لم يكتبه الشاعر بعد؟ في قصة ((هذه الزلزلة)): <<ما يشغل الشاعر الكبير الآن هو معجزة الحياة ذاتها، فعلى الرغم من الظلم، والقهر، والمجازر، والأوبئة، والموت، فهو ما يزال يعيش، وتجري في عروقه دماء الحياة، أليس هذا رائعاً؟>> (ص: ٨٨).

وتناقضات الحياة بين ضيق الحال، وقلة الراتب، ومظاهر البذخ وكثرة النفقات في قصة ((فنجان قهوة)): <<وكم كانت دهشتي عظيمة حين وصلت إلى نتيجة بسيطة، وهي أنَّ أمثالي من الموظفين الحاصلين على إجازة جامعية يستطيعون بمرتَّبهم الشهري كلِّه أن يشربوا أربعين فنجاناً من القهوة لا غير في مثل هذا المقهى الشعبي، أي بمعدل فنجان وثلث في اليوم الواحد مع المناديل الورقية، وماء بقِّين ودون بخشيش، ويستطيع صديقي بمرتَّبه التقاعدي أن يشرب فنجاناً واحد لا غير>> (ص: ٨٥).

وتشكِّل قصص الجزء الثاني ((غبار السنين)) رواية مأساوية لنكبة فلسطين، فجاءت في عشرة فصول عنونت بعناوين معبِّرة عن مضامينها، تكاد تكون سيرة ذاتية لأديبنا الكبير <<وكان الطفل الصغير في، في الصباحات البعيدة، يسوق بقضيب رمَّان طري رفيع قطيع الماعز من الحارات العتيقة ذات البيوت المتواضعة...>> (ص: ٨٦).

تتابع مسيرة حياته <<وحين امتدَّ بنا الزمن وكبرنا، ولمستنا لعنة حزيران بشيء من الوعي الشقي، وأوغلنا في الغربة حتى أصبحت أعماقنا مرتعاً لها>> (ص: ٩٥).

وتجدد الحلم بالعودة إلى الفردوس المفقود <<أنا مطلٌ عبر هذا الحلم الفردوسي على قريتي... أنت من جديد في فلسطين! وأغفو على هذا الحلم الكبير>> (ص: ٩٥).

والسؤال المتجدد <<أيستطيع أولادنا الصغار اليوم، أن يعيشوا ولو جزءاً يسيراً من المغامرة التي عشناها؟!>> (ص: ٩٩).

والضياع والحنين إلى الجذور، ورسائل اللاجئين <<نحن بخير طمئنونا واطمئنوا>>، ولقاء الأهل والأحبة <<وهكذا يا سادة يا كرام، وبعد ثمانية وأربعين عاماً: منذ أن خرجت من داري إلى موعدكم هذا، أتيح لي أخيراً أن ألتقي أبنائي الأربعة>> (ص: ١٠٥).

وحرقة الفراق، وموت الوالد قبل أن يتحقق حلمه <<وكنت أشعر أنِّي، بمعنى ما، رأس ماله الوحيد... ربما لأنَّه انتظر كلَّ أيام الغربة والفقر والشدَّة والمرض، ليأكل من تعبي>> (ص: ١١٣).

والتجوال في مدن الأحلام (الدار البيضاء - فاس - مراكش - طنجة)، وأيام الجزائر واليمن، والأشخاص الذين عرفهم، وتركوا بصمات لا تمحى في ذاكرته، وضمَّت رفاتهم المقابر (مقبرة الأربعين) وما آلت إليه، ولم يغفل موضوع العنصرية التي عايشها في فرنسا بلد الحضارة والمساواة الإنسانية المدعاة <<وكنت أفكِّر بصديقي علي الذي رأى في يومه الأول وجوهاً مختلفة من باريس، وتنتظره وجوه سيكتشفها شيئاً فشيئاً>> (ص: ١٤٤).

وللمجموعة علامات مميزة تبدو في: السخرية المحببة في قصص الجزء الأول، وطرافة الموضوعات التي يعالجها القاص في قصصه القصيرة جداً، والنقد الإصلاحي ونقد الحضارة المزيفة ((العنصرية في بلاد الحضارة)).

أسلوب الرواية، ويبدو واضحاً في قصص الجزء الثاني كما أسلفنا والأديب هو الراوي المبدع الذي يروي أحداثاً عاشها وعايشها واكتوى بحرقتها، ويلوِّن في أسلوبه، يمزج الواقع بالخيال، ويعيد صور الماضي المأساوية، كما يرسم صورة الحاضر، ويعيد الذاكرة لأسلوب الحكاية ((حكاية ألف ليلة وليلة)) <<يا سادة يا كرام... والله يمسِّيكم بالخير>> (ص: ١٠٥).

اللغة المعبِّرة عن الألم وصدق المشاعر، والرسم بالكلمات <<وعلى الرغم من أنني لا أعرف الأميرة التي أبحث عنها، إلاَّ أنني كنت أعلم أنَّها سمراء، رشيقة القدِّ، بيضاوية الوجه، وطفاء العينين، مكتنزة الشفتين، يتأرجح شعرها الأسود الطويل إذا مشت على ظهرها، وتتأرجح ثيابها القزحية السابغة بكلِّ عبق البخور>> (ص: ١١٧).

وإن كان من كلمة تقال في نهاية توصيف هذه المجموعة فإننا نقول: هذا إبداع جميل لأديبنا الراحل والرحمة والمغفرة له.

أمنية

عبد الرزاق الصغير
(الجزائر)

وأنا جالس وحدي
تجلدني سياط الحر
أتخيلني عبداً من زمن الجاهلية في قريش
لا في ء خال في الحديقة
ولا نوارة بيضاء حية
اللدائن والمعادن المشكلة كراسي، والتماثيل بلا أحذية
الإسفلت ، الأرصفة تتأجج
لا ظل
تمنيت لو كنت صاحب ريشة بدل القلم
كيف أرسم ..؟
بأي لون ..؟
العشب
البؤبؤ السماوي البارد المائل إلى رمادي خفيف جداً
البسمة المزهرة
رقرقة البشرة الذهبية
تداخل الألوان والمعاني
الرؤوس ، القباب
الأعمدة الكهربائية المستوردة
أسقف المنازل المهترئة
رؤوس الأصابع والجبال
الأفئدة تذوب
لا طير في السماء الناصعة
البؤبؤ حوض سباحة
البسمة مظلة
الالتفاتة ، الغمزة نسمة رطبة
البشرة
سحابة آتية من الشرق لا زالت بعيدة

مائدة المطر

رولا عبد الحميد

نزلت مع المطر
سكبني السحاب في روضتك
ومضيت أكبر
امتلأ قلبي بالماء
و كرومك تشرب
××××
مرهقةٌ حبيبي
أتعبني الدرب والحجر
فاقترب
دع السور بيني وبين القمر
يتداعى
دع النبيذ يتلون
دع الأقحوان يرسم على الوتر
××××
أعددت لك مائدة
فيها القمر والرؤى والسكر
فيها الليل والنهار
مرمران من مخمل
فيها النور يسيل ويتكور
فادن دع مائدتي تفرح
×××
خائفة حبيبي
فالخوابي سكنتها الدموع
وراحت تتكسر
والدرب تحت قدمي يتنهد
ليلكتي مسافرة إليك
فاهمس في جناحيها
دعها تتنفس
×××××××
عيناي نائمتان في أيكتك
النسيم ينفخ في سريرهما
والليل يرسم لوحته
وصفصافة تحت العينين
تغفو
فاخطف من الليل ريشته
وارسم أنت الرؤى
ارسم ظلا يهدهد السنا
×××××
أغمضت قلبي
وغفوت ونظرت إليك
الأنجم غردت وحطت على قلبي
وأنت تلون الأنجم
فلملمها واسكبها في شمعتنا
دعنا نبصر النور
ونقطف الرؤى
حبيبي إليك نزلت مع المطر

السلطعون الناسك

عبير بدور

صمت ..سكون ...غيوم تتقافز باتجاه القمر فاردة ظلها على مساحات الشاطئ الضيقة ..وبضع نسمات تغادر البحر دونما هدف ..وقف هناك على تلك الصخرة ..أقصى ما يمكن له الارتفاع فرأى حقولا من الموج تتهادى باتجاهه ..ذعر ...وذهل .. واختار أقرب قوقعة من مجاله الجغرافي وتكوم داخلها اتقاء لعناء البحث ..

عاش دهرا في تلك القوقعة ،لا نوافذ تفتح للنور،ولا شرفات يرسل من خلالها أشواقه الى القمر ولا أبواب يملك مفاتيحها ليطرق عليها زائرا ما فيبتسم رغم كل شيء

بضع أحلام فقط معلقة على حبل تركته الريح وهي في طريقها بجانبه لتجف تحت الشمس ..تزيل معها رسوبات القهر المتراكمة في خزانة عمره وصندوق أيامه

أراد أن يغازل إحداها فكان حلما هاربا من زمن آخر .. من نظام كوني معقد رأى نفسه يمشي في بستان اليقظة

انتظر حتى توقف المطر تأبط سلته ومضى وحيدا في طريقه ..ليجمع زهر البنفسج ....فكر أن يزين بها بيته الفارغ أو يهديها لحبيبته القادمة على جناح موجة ....حيث يحيك الزبد لها فستانها ويصوغ لها الموج أساورها ومن خيوط الشمس شال شعرها وحين تنتهي مراسم زينتها اعتقد أنها ستكون واقفة على ورقة توت عائمة تنتظره مبتسمة ..تمد له يدها ..فيرمي قوقعته ويسرع إليها رافعا رأسه باتجاهها

أراد فقط لحلمه أن يعيش ويتبلل بعد جفافه الطويل

لكن

كيف لحلم أن يمشي فوق المسامير ...على رمل وجمر ..لم تكن قوقعته جاهزة ليكمل طريقه ويكسر جدار خوفه

حاول أن يخرج من انكساره ..يتخطى وحدته... يتحرر من صمته

جرحه حزين لكن نبضه ما زال كتوتر الكهرباء ينفعل...يرتعش...حين وقف يرقب القمر بخشوع الأنبياء.

لكن لا أحد قط كان يعرف كيف تبدو الشمس من عنده من بين ابتهالاته واستكانته وظلام خوفه

كان يعتقد أن ظله في نور القمر أقصى ما يمكن مشاهدته لم يكتشف نور الشمس قبلاً ولم يكن يعتقد ان هناك نورا أكبر من ذلك

حدث نفسه مرة:

كثيرة هي الظلال ..نعيش داخلها...في جوفها..كصدفة مغلقة بإحكام ..ظل لنا ملتصق بنا..وظلال تقترب منا تشل حركتنا وتفكيرنا وظلال تعيش لآلاف السنين..تبنى لها المتاحف الفخمه فيحتفظوا بهالتها وقداستها واستمرار الخوف منها..

الظلال تقيدنا إلى الآن ....

أناس رضيت العيش في ظل الأرض...في الجانب الآخر للشمس ...في صقيع مستمر حتى جفت أرواحها وابيضت عيونها

لم يكن يعلم أن ذلك الظل من سيزفه إلى النور حيث طريق اللاعودة وربما كان يعلم لكنه لم يكترث لذلك حين قرر التخلص من قوقعته لبعض الوقت ليمشي على طريق رملي الخطوات ناعم الملمس دافئ الإحساس طريق الشمس والبحر والهواء..يرمي عليها ما تراكم داخل تلك القوقعة من عفن الماضي ورطوبة الحاضر وظلام المستقبل

وما زال ضجيج الغيم يحفر رأسه بألف سؤال ...

من أنا ؟؟؟

كيف تركت فتحة في الجدار وأنا أعانق الظلمة فاستطالت وغدت كونا وبقيت أنا داخلها ربما لأنني اهتديت بالنجم وسرت إلى مكان أجهله ...حين مررت تخوم ذاكرتي ..حواف طفولتي ...واستسلمت لصمت أول الليل ... وأصابني السكون...فعرجت أتأمل ظلي

فكر في البحر والموج والمنارة ...كيف يضع لها حيزا على قدر الحلم ..وينتزع منها سردا إيقاعيا يشبه لغة حبيبته ومدارات حب تجعل كل ما له عمق يشبه عينيها

كان يعتقد أنه كسر صمت التاريخ ...وألقى سنينه في بركة الغد ...فمن غير عادته أن يفتح نوافذه لانكسار الشمس في هذه الساعة والحيرة تداهمه

واستطرد متسائلا..

ماذا لو كنت بلا ظل ..بلا رأس وعينين وأذنين ..ماذا لو كنت غير مرئي ..أو غير موجود لتبرأت من نفسي كما تبرأت من قوقعتي.. لقلت ما لم أقله.. واسترحت من تعبه

لكنه افتراض مخيف

بات الظل من يشعره بوجوده يتحسسه في كل وقت وقد يسكب عليه بعض الماء ليصير رخوا فيأخذ وقتا أطول قبل أن يجف

كان يبحث عن إله بين احتمالات الرقص الصوفي.. دار ودار وما زال يدور..لم يكن الأمر سهلا فاللؤلؤة تكمن في أحضان الصمت ...لكنها قادرة على تكسير أجنحة الشمس.....

كحائط يقف فوق الغيم وجد نفسه محاطا بالحواجز التي تمنعه الوصول ...ما زال النور بعيدا عن متناول عينيه ...فكر بالهرب أو الالتفاف والمناورة ...ولم يجد إلا متاهة الريح ليدور معها

والكثير من الطحالب تتمايل ...مطالبة بالتحرر من البحر مصدرة صوت الحفيف فيقطع شروده لبعض الوقت ويرمي شال دموعه الأزرق فوق جسد الرمل لتغوص فيها وتختفي كأن شيئا لم يكن ولم يعد بمقدوره البحث عن آخر دمعه مرة أخرى

ربما أراد كقدماء التاريخ الاحتفاظ بدموعه في قوارير شفافة لتبقى شاهدة على الألم كان بحاجة لشاهد على معاناته... أحد ما يشاركه بها ولو بعد حين.. وإلا ستفقد قيمتها وتصبح طي النسيان

وحين استحال الأمر ....قرر التحرر من دموعه ورأسه...وعينيه... وقوقعته

هو الآن حر يمشي بخطوات ثابتة واثقة يرفع عينيه نحو الشمس والسعادة تغمر روحه

كانت صدمته كبيرة وحيرته أكبر فقد اكتشف وجهاً آخر للحقيقة دونما تعليم.. هو بمفرده... خطا أولى خطواته باتجاهها غير مكترث بما سيحصل .... وحين التهمه الظل اعتقد أن النور احتضنه وتلاشى داخله

أوراق بنهر الحب

غالب جازية

ألقيتُ في يمِّ الهوى أوراقي
فجرتْ إليكَ لوحدها أشواقي
وبدتْ عيونكَ موطناً لمشاعري
أنّى اتجهتُ .. هواكَ في أعماقي
كيفَ الضلالُ و نورُ وجهكَ لائحٌ..
قمراً يهلُّ بزهوة الإشراقِ
كلُّ الدروبِ إلى رؤاكَ تقاطرتْ
و تنفستْ لغةَ الهوى آفاقي
يا كوثراً عذباً رشفتُ فراتهُ
رُدَّ السلامَ على السلام و لاقي
أوقدتَ نارَ الحبِّ بين جوانحي
و نثرتَ عطركَ للغد الخلّاقِ
فرأيتُ عمري في غرامكَ عابقاً
كمزارعِ التفاحِ و الدّراقِ
و رسمتُ طيفكَ يا ملاكُ بريشتي
نبعاً يفيضُ بسحره الرقراقِ
هيّا أعدْ لي أحرفَ اسمكَ يا هوىً
فحروفُ اسمكَ نجمةُ العشّاقِ
شدَّ الوثاقَ فإنَّ قلبيَ ذائبٌ
يا من نسجتَ بناظريكَ وثاقي
إنّي أحبّكَ فامتشقني ومضةً
عندَ العناقِ إذا أردت عناقي
ذُقْ ما بداخلِ لوعتي من صبوة
فأنا العليلُ بحسّكَ الذوّاقِ
و ارسمْ على شفةِ اللقاء قصيدةً
فيها لواعجُ خافقٍ مشتاقِ
إنّي اتخذتكَ ملهماً لمشاعريَ
وجعلتُ طيفكَ للنجوم بُراقي
فالحبُر عطركَ و السطورُ جوارحي
و البدرُ وجهكَ و اللحاظُ رفاقي
يا طيبَ من أحببتُ ذاعَ غرامُنا
حتى رآكَ الخلقُ في أحداقي
قدرٌ يخطُّ هواكَ فوقَ دفاتري
بأناملٍ مثلَ النسيم رقاقِ
غيّرتَ طَبْعي و الطّباعُ طبيعةٌ
ما كانَ ذا عهدي و لا أخلاقي
راضَ الهوى قلبي فبحتُ لنسمة
وتوضأتْ روحي هواكَ الراقي
هذي اللواحظُ قد فتكنَ بأعظمي
و سلبنَ لُبّي و استبحنَ الباقي
لملمْ فؤادكَ من عيونِ عواذلي
أنتَ اعتناقي و السياقُ سياقي
عدني بوصلكَ أو أعودَ لعلتي
ما بينَ مرتحلٍ و بحرِ فراقِ
قَلْ ما تشاءُ و سرْ إلى قلبيَ أنا ..
فأنا الظمئُ لمبسم و مآقي
لا .. لا تلمني إن ظمأتُ لرشفة
و شفاهكَ الحرّى شفاهُ الساقي
يا هادي الطُراق ...قلبي في الهوى
كلفٌ.. فَصلْ يا هادي الطُراق
هذا هواكَ محلقٌ بمشاعري
وأنا الغرامُ لمن يودُّ لحاقي .

حديث أبي

عيسى درويش

لا تكن ذرّة من رمال
تذروك ريح الشمال
و تلعب فيك رياح الجنوب
كن صخرة حيث كنتْ ..
و كن جبلاً في الأرض حين يريد العدو اقتلاعك
لا شيء أجمل من أن تموت و أنت تدافع عمّن تحبّ
و هل في الوجود هوى يعادل حبّ الوطن
-٢-
كان أبي مغرماً بالأعالي ..
و يعشق صيد الصقور ..
و ذات نهار .. وجدت أبي يبحث
عن صقرهِ في الحقولْ ..
و بعد عناء قال لي
كن مثله سيّداً في القرارْ
و إيّاك من حديث لا يليق بمثلك
و إن مسّك الضرُّ يوماً ..
إيّاك أن تستكين ..
فالموت مثل الولادة .. خاتمة للحياة
فافرح بها إذا متَّ شهيد الوطن
و قال أبي ..
إذا جاء يوماً ملوك العربْ
و خيّروك بين التراب و بين الذهب
قل لهم لا شيء مثل الوطن
و أنّ العروبة روح و فكرٌ و ليست نسب
-٤-
و كلّ الكنوز على الأرض يذهب مثل الحطبْ
و أن ما في خزائن الأرض من مالْ
لا يعادل ذرّة من ترابْ
في الشام أو في حلبْ
تذكّرت قول أبي بعد أن مات
و شُنَّتْ علينا الحروبْ
و عاد أبو جهل يشعل فينا اللهبْ
تذكّرت كل حروب العرب ..
و مَن ارتدّ عن دينه إلى صَنَم من ذهب
و صار الحليف لصهيونْ
كأنّ لصهيون فيه نسبْ
-٥-
و رددت قول أبي
إن العروبة فكرٌ و روحٌ
و علمٌ بكل نواحي الأدب
و أنّ العروبة .. ليست نَسَبْ

كما أنت أحبك

حسين ورور

أنت هذا المدى
كلّ أطيافك فيه
تهيجُ كما النحلِ
لمّا تمرّ على الزهرِ
وتجفلُ لمّا ترى
زهرةً ذبلتْ دون ذنب
وتغضبُ إمّا رأتها تموتُ
على ظمإٍ
ويُداسُ شذاها
وتغضبُ أكثر
إمّا رأتْ قارعَ الطبلِ
يغرقُ بالنوم عنها
وشمسُ الضحى لا تمدُ
إليها يداها
أنت هذا المدى
وكلّ طيور الهوى
فوق أغصانك تشدو
لا يشاغلها عنك شيءٌ
سوى أن تكوني على بهجةٍ
وردةُ الحبِّ في يديك
تراودني عن همومي
فلمْ تتبدّدْ
وزرقةُ أوراقها
لم تغط الندوبَ
التي خلّفتها على الوجه
شرّيرةٌ
منذ بدء ولادتها القيصريّة
مهووسةٌ بالأذى وبقتل الفرحْ
كم ، وكمْ أتلوّعُ حين أراك
تسمّرت على خطوةٍ من يقيني
وأصفحُ عنك
إذا ما تيقنتُ أنّك دون ظنوني
أسيرُ على دربكَ الوعرِ
لا خائفاً من وحوشِ البراري
ولا من غريم
ولا من عدوٍّ لدود
وأنسى شظايا المرايا
التي علقتْ تحت جلدي
وكيف أضعتك في عتمةِ الليلِ
وضيّعتِ لوحَ الوصايا

إلى جَنَّة في الجحيمً

قحطان بيرقدار

خارجَ الوقت..
لكنني لستُ أبرَحُ أيَّ مكان
أُطلُّ على شُرفةٍ للرحيلِ
إلى وَمْضَةِ المُستَحيل
يُساورُني الشَّكُّ فيما تَبدَّدَ مِنْ كائناتٍ
وفيما تَأَبَّدَ من عَدَم
والطريقُ يُسائلُني عَن خُطايَ
وعمَّا خَسرْتُ مَن الجسد المُستَقرِّ على نَقْصه
لا أُجيبُ سوى بالعليل مَن القَول
أزعُمُ أنيِ شَهدتُ ولادةَ كُلِّ الظِّباءِ
وكُلِّ الخُيولِ..
وأنِّي شَهدتُ الحمامةَ
كيف تُحَرِّرُ شَهْوتَها بالهديل
وكيف يَصُبُّ النخيلُ صَبابتَهُ في النخيل
وأصمُتُ لا عاجزاً غيرَ أني
أحاولُ أن أبعدَ الشمسَ
عمّا يُورِّطُها في الأصيل..
×××
لا مَجالَ لأذْكُرَ كُلَّ التفاصيل
فالشِّعرُ يَرفُضُ
أن تُخْسَفَ الأرضُ بالجَوْهَريِّ الحميم
ويَنْأى بقلب المُريد
عن الأُمنيات الصغيرة..
ما ثَمَّ إلاَّ العُروجُ
إلى جَنَّة في الجحيم
وما ثَمَّ إلاَّ الخُروجُ
على ما يُرى
والوُلوجُ
إلى خدْر مَنْ تَتجلَّى
لتُتْرِعَ كأسَ النديم
بصَافيَة الوجْد منَ شَفَتَيْها
لِيُبْصِرَ ما لا يُرَى
ويُسافرَ في دَهْشَة لا تَغيبُ
سأذْكُرُ بعضَ التفاصيلِ لكنْ
بلَفْظ النسيم
لكي أتفرَّغَ أطولَ وقت
لمَحْو الظلام
بفاتحةٍ منْ نُجوم..
×××
بيَدي أُمْسكُ الرِّيحَ
ما منْ سبيل إلى غيرها..
أيُّها السائرُونَ
إلى ما تَراءى لكُم ذاتَ وَهْم
أعدُّوا حقائبَ خَيْباتكُم قبلَ كُلِّ الحقائبِ..
ما منْ قطارٍ سيأتي
ليَحْملكُمْ منْ ضَراوَة هذي القفارِ
ومنْ غَدْرها..
لا تَمُدُّوا الأيادي إلى ما تَراءى
منَ الأُفْق المُخْمَليِّ البعيد
أطلُّوا على ما تناءى منَ الرُّوح
ما يَتبخَّرُ منْ بَحْرها..
فالغَمامُ هوَ الدَّرْبُ
يا مَنْ خرجْتُم بقافلَة الشمس
مُستَبشرينَ بآياتها
والسَّوادُ هو الوقتُ
يَلْبَسُ ثوبَ الضُحى مُطْمَئنّاً
إلى أنَّكم لن تَمَسُّوا الحقيقَةَ
مهما رَضعْتُم حليبَ الغوايَة
منْ صَدْرها...

قطار منتصف الليل

صالح سميا

على الرصيف رقم (٩) جلست أنتظر قطار الحادية عشرة ليلاً، مرت امرأة تتأبط حقيبة وشاهدت مجموعة من الشباب تتجه نحو الرصيف رقم (٩).

دقت ساعة المحطة معلنة العاشرة والنصف والقطار لم يصل بعد، خفت أن أكون قد ضللت الرصيف، لكنهم قالوا أن القطار المتجه الى فرانكفورت ينطلق من الرصيف رقم (٩). وفي الحادية عشرة إلا خمس دقائق وصل القطار.

قلت في سري : أيعقل ان يصل و يغادر خلال الدقائق الخمس ؟

في الحادية عشرة بالضبط كان القطار يغادر المحطة، سمعت دوي عجلته، ومع انطلاقتها انطلق دوي آخر في رأسي، صوت زميلي في العمل «هيربرت» مدرس اللغة الالمانية في معهد تكوين المدرسين في وهران.احذرْ قطار الليل.. فالطريق مليء باللصوص وعندما صعدت الى المقطورة المخصصة لمدينة فرانكفورت كان همّي أن أجدها تمتلئ بالركاب، جلست في الكابينة الأولى، وضعت أمتعتي، تركت الباب مفتوحا لأشاهد الصاعدين.

بدأ صوت محرك القطار يصدر دوياً وراح يمشي في البداية متباطئا، لم أشاهد سوى امرأة عجوز وشابة شقراء فاتنة تصعدان المقطورة.

إذن ليس هناك غيرنا نحن الثلاثة، تمنيت لو تجلسان في مقصورتي، على الأقل نتشارك الحديث والشراب، فقد اصطحبت معي زجاجتين من النبيذ الفرنسي الفاخر. مع تزايد سرعة القطار تزايدت دقات قلبي، وراح شيء يتوتر في داخلي، وتغزوني كلمات هيربرت، هذا التعيس الذي ملأني خوفاً وجعلني أخفي نقودي في مكان يصعب على أذكى لص أن يكتشفه ولكني عدت وقلت : إن لم يجد اللص معي نقودا فقد أجد نفسي في وضع أسوأ ولذلك عدت وأظهرت قليلا منها.

وصل القطار إلى أقصى سرعة، عبْر سكون الليل ووميض النجوم المتألقة في هذه الليلة الصافية سماؤها . حقول العنب على جانبي الطريق بدت سوداء عاتمة، حشوت غليوني لأول مرة بعد انطلاق القطار، ملأت كأسا من النبيذ، رحت أرتشفه وأنا انفث دخان غليوني .

حملتني دوامات الدخان بعيداً بعيداً، طالعني فولتير وروسو، شعرت بذباب سارتر يضرب زجاج النافذة وبدا لي غريب كامو ضائعا عبر الحقول السوداء، لتعيدني كلمات هيربرت إلى الواقع.

أسأل نفسي مما تخاف يا صالح وليس في المقطورة سواك وهذه المرأة العجوز وابنتها الشقراء ذات العينين الزرقاوين ؟

كرعت ما تبقي من الكاس، خرجت أبحث عنهما لأدعوهما لمشاركتي الشراب، تدفعني نوايا ليست بريئة تمددت في داخلي كإخطبوط، بحثت في جميع المقصورات، دخلتها كلها، فتشت بدقة ولم اعثر لهما على أثر، قلت يمكن أن يكونا قد انتقلتا إلى مقصورة أخرى، لكني لم أجد مخرجا يسمح بالانتقال إلى تلك المقصورة.

عدت كما كنتُ، ملأت كأسي، حشوتُ غليوني، وبدأت أشرب وأدخن سارحاً في خيالاتي و تأملاتي، كمن أصرخ بصوت عال: اللعنة عليك يا هيربرت، لقد افسدت عليَّ رحلتي.

خيل إلي أني أسمع أصواتاً، ضحكات تنطلق من مكان ما . يا الهي أنا الآن لست طبيعياً، ربما بدأت أعاني من الهلوسة والإرهاق، ربما هو الخوف الذي كبلني به هيربرت. نعم إنه الخوف لقد زرع الخوف في أعماقي، وها أنا أسافر وحيدا وفي المقطورة لم يصعد إليها سوى امرأة وابنتها ثم تبخرتا وتركتاني لهذياني.

الغريب أني لم أجدهما يهبطان من المقصورة بعد أن صعدتا، فأنا جالس قرب المدخل أراقب، تختلط الأشياء في مخيلتي، تختلط الأزمنة وإيقاعاتها في هذا التجويف الصغير . فأشعر أني أصبحت خارج الزمن، كيف ومتى اختفت العجوز والشقراء؟ هل اختطفهما أحد ؟....

ملأت كاسي للمرة الرابعة، ورحت أكرع و أكرع محمولا على متن غلالات الدخان الصاعد، كنت كمن توقف عن الاعتقاد بأن الأرض تدور لأني كنت أرى كل شيء بما فيه القطار ساكنا، حتى الزمن، رحت استحضر صورة الشقراء كانت عيناها وهي تعبر من أمامي بحرا، زرقتهما كانت سماء صافية و نجوما لامعة، كانتا دنيا آه كم تمنيت أن اعيش في دنيا هاتين العينين الزرقاوين، لكن عندما قررت الغوص فيهما اختفتا، لاشك أن العجوز وابنتها لم تكونا من البشر ربما هما جنيتان خلقتْهما أوهامي. أمنياتي. رغبتي في أن أجد امرأة تؤنس سفرتي الطويلة خلال هذا الليل، عندما دخلت المقطورة كان وجهها يشع نوراً، ومن عينيها كانت تخرج باقات من الضوء، أنا لم ألحظها إلا لثوان لكن الثواني تحولت إلى دقائق وساعات دهرٌ غبت فيهِ .

وبعد منتصف الليل، على الجانب الأيمن من الطريق شاهدت أنواراً لبلدة بعيدة كأنها كوكبة من نجوم تلمع و تنعكس على مياه نهر ينساب بهدوء. شاهدت الجسر الذي عبره القطار إلى الضفة الأخرى، حملتني خيالاتي إلى عوالم ملكوتية خرجت من جسدي وتحولت إلى بقعة ضوء. كان كل شيء فيها يشعُّ، بشرتها. وجهُها. ابتسامتُها. كلُّ شيء حالة من الطمأنينة أخذت تتوالد في داخلي، خمس ساعات من السفر المتواصل، ولم يظهر أيُّ لصٍّ.. تسلل ضوء الصباح عبر النافذة، فتحت عينيّ بصعوبة فانا لا أعرف متى غفوت، كان الصداع يضرب رأسي بمطرقة فولاذية، نظرت حولي .. راحت الغشاوة تنزاح قليلا قليلاً، شاهدت العجوز على المقعد المقابل تغط في نوم هادئ، رأيت الشقراء ذات العينين الزرقاوين تنشر ابتسامتها فتملأ فضاء المقصورة ضياءً، وكأنها كانت تريد أن تقولَ شيئاً حلمتُ به أو عشتُهُ، وأنا أتوغل في عينيها وأحس بخلجات روحها تُحلّق في فضاء المقصورة.

وكان وجهي تمثالٌ قديمٌ وأصمٌ داخل متحف للمنقوشات الحجرية، ربما من شدة الذهول أو منَ شدة الإعجاب أو منهما معا، فأنا لم اختبر الوقوف أمام فينوس وجها لوجه قبل تلك اللحظة.

تمنيت لو أن عرّافة دلفي تمنحني شيئاً من الشجاعة، لكن العينين الحاضنتين لدهشتي لم ترحماني، أحاول أن أتذكر، يهمس صوتها في أذني «كوتن موركن»، الابتسامة ما زالت تشعُّ على وجهها، وفي عينيها كانت ثمة سفن وزوارق تبحر. أحاول أن استيقظ من ذهولي وأتساءل إن كانتْ هذه الرؤية تندرج تحت ما يسمونَهُ اليقين، وكان اندهاشي من أن المقطورة ممتلئةٌ بالركاب أكبر من اندهاشي من وجود الشقراء جالسةً على المقعد المقابل مع والدتها بالقرب مني وأن قميصها كان مفتوحا لدرجة أني كنت قادراً على رؤية الحمامتين البيضاويتين تستعدان للطيران والتحليق نحو السماوات .

الفستان الوردي

بشار المنير

إنها الخامسة مساءً، هاهي تَنسلُّ من بين جموع العابرين، إلى تلك الواجهة المضاءة بمصابيح ملونة، وتبدأ وصلة من الصمت والتأمل.. إنها المرة العشرون.. ربما المئة، أراها من شرفة منزلي، تمنيتُ معرفة أي فستان من الفساتين الثلاثة نالَ منها.. وأسَرَ لبها.. فتأتي إليه كل يوم في نفس التوقيت، كعاشقة تتلهف إلى لقاء الحبيب .وفطنتُ إلى غبائي، أينَ قدميكَ أيها المغفلْ؟ سارعتُ إلى الشارع، ولأنني خجول أولاً، وأحترم الخصوصية ثانياً، وأخشى ردة فعلها تجاهي كمتطفل على خلوتها مع حبيبها ثالثاً، وقفتُ قريباً منها أراقبُ واجهة المحل المجاور.

أراها بوضوح.. بل أتنشقُ عطرها.. وأظنه «فيدجي» وكان الأشهر في تلك الأيام، حَملته إليّ نسيمات دمشقية مسائية غير مُخترقَة، أمعنتُ النظر في وجهها.. عيناها مسمّرتان على الفستان الوردي، لكنه ليس موعداً صامتاً أبداً.. هاهي تناجيه بنظرات مفعمة بالشوق.. والهيام، وتبثه ما يختلج في صدرها دون حرج أو تردد: آه يا صديقي كم أعشق لونك الساحر.. وقامتك القصيرة.. وتدويرة قبتك المفتوحة.. وخصرك النحيل.. وأكمامك المنتهية بقطع التول.تسألني لمن سأرتديك؟ ليس لأحد بل لنفسي، لأبدو جميلة كساندريلا، أختالُ فيكَ ناثرة سحري على الجميع، ربما بعد ذلك سأخطرُ بكَ إلى موعد، لكن مع مَنْ..؟ فأنا أُصَنِّعُ أميراً كل ليلة.. وأضفي عليه ملامحاً تتغير باستمرار، لا أدري يا فستاني الوردي ما يحدث لي؟ فأحياناً أُضيّعُ معالم أميري واكتفي بترقب قدومه حتى لو كان ملثماً.

استدارتْ لتمضي، فوجدتني قريباً منها، رمقتني بنظرة متسائلة، وأسرعتْ مختفية بين الجموع، وتَلاشى طيفها دون أن تترك لي فرصة التحدث إليها.

قطعتُ عليها مناجاتها يوماً، وتوقعتُ أن تنهرني، لكنها سألتني: أليس جميلاً ذلك الوردي.؟ فأجبتها:

إنه جاري.. وحبيبي.. فأنا أكتب قصائداً لقماشه الساحر.. وخيوطه الرقيقة.. وأحسد المكواة التي انسابتْ نشوانة تتلمس تفاصيله وحشواته، وكم سيفيض تألقاً وجمالاً حين ترتديه.. لقد انتظر طويلاً في الواجهة باحثاً عنك.. عن أميرته.

فَنظرتْ إليّ وأودعتني تلك الابتسامة الصافية.

وهكذا أصبح موعدنا اليومي في الخامسة مساءً أمام واجهة المحل، صديقين صامتين.. إلاّ من ضجيج روحينا.. هي تصوغ من شوقها إليه مناجاة عذبة، وأنا أسائل وجهها عن سر انسياقي، وشغفي بالساعة الخامسة.. والفستان الوردي.

ها هي آتية في الخامسة تتلهف للقاء حبيبها الوردي.. وها أنا أترقب وصول معذبتي الصامتة، والتقينا أمام الواجهة، لكن شيئاً ما غيّر ملامحها فجأة.. فخبا بريق العينين.. وتحولتْ حمرةُ خديها إلى لون خريفي أصفر.. ولمعتْ في مقلتيها قطرات الحزنْ.. وأشارتْ بيد مرتعشة إلى الفستان، أين فستاني.؟ وراحت في نوبة بكاء هستيري مؤلم.

حاولتُ تهدئة البركان الثائر أمامي، لكن كلماتي المواسية لم تجد طريقاً إلى مسامعها، وتَطلعَتْ إلى وجهي، فانهار تماسكي الهش.. فَضَحته دمعات هاربة، فَمَسَحتها بكفها، وقالت وقد تملكها يأس قاتل:

لقد ذهب الفستان الوردي إلى غير رجعة يا صديقي، فأنا لن أرتديه.. وأنتَ لن تكتب إليه قصائدك. حزينة أنا، وشقيّة أحلامي.

وَدَّعنا لقاء الساعة الخامسة.. هي تتلفَّتُ إلى الواجهة بحثاً عن معجزة.. وأنا أرصد في عينيها بصيص أمل بلقاء آت، ربما أمام واجهة متجر آخر.رجعت إلى بيتيَ مثقلاً بهم لقاء قد يأتي .ربما سنلتقي صدفة على رصيف ضيق..في حارة شامية نزعتْ وشاحها الأسود.. وجَنّتْ على حيطانها عرائس الياسمين،ترتدي فستانها الوردي.. معشوقها الوردي، لتتلاقى العيون..وتبتسم الشفاه.. ونتواعد..ونلتقي.. ثم نلتقي..ثم نلتقي..ولن نقول أبداً: وداعاً .

(كعب عالي)

وسام قبّاني

يقفُ شامخاً شموخَ قاسيونَ أو أكثر، يتضوّعُ عبير الفتنة من مُحيّاه الأزهر، وقد تربّع على عرش واجهة المحلّ الفارهة، بكعبه الأرجوانيّ الذي لا يقلُّ عن عشرة سنتيمترات، وجلده الطّبيعيّ الإيطاليّ الفاخر، أمّا بقعة الضّوء المُسلّطة عليه بحرفيّة عالية فتزيده أناقةً وكبرياء. أيّ هالةٍ من السّحر تلك التي تشدّني إليه، أيُعقلُ لسيّدة أربعينيّة مثقّفة أن يسلبَ لبّها حذاء. ؟؟!!

أكادُ أقسمُ إنّه يهمسُ باسمي: هيفاء ...

عزيزتي الأحذية لا تنطق، تقولها جارتي بنبرة استهزاء مع نصف ابتسامة ساخرة، وأراها شرعت تفتحُ حديثاً جديداً، وهي تجرّني جرّاً من أمام المحلّ الذي تسمّرت قدمايَ عنده، وأراني أقاومُها بكلّ ما أوتيتُ من إنهاك.

حسناً ... لا بأسَ ... لا ضيرَ لك في استراق لحظات من المشاهدة.

ولعلّك قرأت الرّقم الجميل المعلّق بجانبه.

أُمعنُ النّظرَ ... وتصعقني الأربعُ خانات التي تسبقُ رمز الليرة السّوريّة (ل. س). فأتنهّدُ باستسلامُ، ويعود بي شريط الذّاكرة كسرعة البرق إلى الوراء؛ إلى حكمة جدّتي الرّاحلة: كنوز المال تجيب الهم، والقناعة راحة بال وفهم.

أيّ أحمق قالَ هذا ..؟ !!! إنّ مجرّدَ التّفكير بوجود أشياء كهذه في حياتنا المقيتة يؤكّد لي أنّ السّعادة ليستْ وهماً كما يروّجون.

يا إلهي ... الأولاد... الأولاد سيعودون من المدرسة قريباً وعليّ أن أسرعَ لإعداد وجبة الغداء.

جارتي المُنهمكة في زعزعة قصور أحلامي الرّمليّة تنشغل بالرّدّ على اتّصال هاتفيّ من زوجها يُذكّرها فيه بكلّ الواجبات المُلقاة على عاتقها. أغافلُها وأدخلُ المحلّ دون تفكير، أتجاهلُ كلمات التّرحيب المتملّقة، وجيوشَ التّحيّات المنمّقة التي شرعَ البائع يردّدها كالببغاء. وأتّجهُ كالمنوّمة مغناطيسيّاً إلى حيثُ يستقرّ الحذاء.

أترغبين سيّدتي في تجريبه.؟ لطفاً أيّ مقاس أعطيك. ؟ يوجد منه ألوان عدّة.

لا لا شكراً لك أنا أشاهد فقط.

يمدّ يدهُ إلى الحذاء بحركة بهلوانيّة رشيقة فيها الكثير من الإجلال ثمّ يضعه بكلّ هدوء وسكينة قبالةَ عينيّ المفتوحتَين على معركة الإغواء الأزليّة هذه.

وتبدأ تراتيل التّعظيم: جلدٌ طبيعيّ، يثبّتُ نظرهُ على عينيَّ مباشرةً، ويضيف بثقة: إيطاليّ.

ألمحُ شبحَ ابتسامة كادت تكون بالغة الدّهاء لو اكتملت قبلَ .. قبلَ أن يكملَ كلامه الخبيث بمكرٍ : يا لحسن حظّك ... لقد وصلنا اليوم... إنّهُ مُستورَد ... قطعةٌ فريدة لا مثيلَ لها في السّوق.

يُحرّكُهُ بخَبث أمام ناظرَيّ المشدوهين فأبتلعُ ريقي بصوت بدا لي أنّ جميعَ المتسوّقين قد سمعوه. تبّاً لي لقد أغواني حُسنُهُ الأخّاذ إلى حدّ الثّمالة.

هيّا هيّا جرّبيه سيدتي ... يلمحُ تردّدي الضّعيف، فيضيفُ بحركة بدتْ لي محسومة: لن تخسري شيئاً.

ألقيتُ من عقلي آخر ما في جعبتي من أسلحة الاتّزان، وخطفتُ الحذاء بتهوّر أرعن، وعلى الكرسيّ الجلديّ الأحمر جلستُ كملكة ... أنزعُ الحذاءَ المهترئ، وأحبسُ أنفاسي حينما أدسُّ قدمي الباردة في داخله، وكسندريلا يختارُ الحذاءُ أن يُلائمني بشدّة.

أتقدّمُ إلى المرآة اللمّاعة رافعةً طرفَ عباءتي، وأمدُّ ساقي إلى الأمام قليلاً، فأكادُ أُقسمُ بأنّي غدوتُ أحلى وأصبى وأبهى وأكثرَ سعادةً، تلاشى على الفور ذلكَ الطّعمُ المرُّ السّاكن وسط حنجَرتي منذ مدّة لم أعد أذكرها.

وفجأةً أصبحَ تجاهلُ موعد إعداد الغداء للسّبعة أفواه المتذمّرة ليس بالذّنب العظيم كما كنتُ أعتقد، كما لم تعُد تبدو لي موحشةً تلكَ السّاعاتُ الليليّة الباردة التي أجلسُ فيها على قتاد الانتظار راجيةً أن يُداعبَ النومُ جفنيّ المُكتحلين بسواد الشّقاء، أصبحتْ مُضايقاتُ أخت زوجي الغير لطيفة أمراً يدعو للشّفقة والرّثاء، وليس للغيظ والعناء. ووليمة الغداء الغارقة بصنوف التّوابل والبهارات بدلاً من اللحوم والمكسّرات غدت تجربةً بالغة الطّرافة، وسأبدأ بروايتها في استقبالات الجارات الصّباحيّة، وأنا جالسة بقامتي الممشوقة، أضعُ ساقاً على ساق، ليبدو الحذاء البرّاقُ أشدّ فتنةً وجاذبيّة في عيون الحاسدات.

اختفى تماماً ذلكَ الرّعبُ الذي ينتابني كلّ مرّة أواجهُ فيها جسدي أمام مرآة الحمّام.

خواطرُ عديدة مرّت كلمح البصر قطعها صوتٌ جارتي التي أطلّت برأسها فجأةً: هيّا .. لقد سرقنا الوقتُ وعلينا العودة إلى المنزل حالاً.

آه كم أمقتُ وقت هروب السّندريلا...

وأكره الفواصل الغبيّة بين لحظات السّعادة..

فما أشبه أيامي بمنتصف ذلكَ الليل الحالك، تدقّ السّاعة وتحين اللحظة.

أهرولُ حافية القدمين من مدينة الخيال المؤقتة، خائفة من شيء لا أعرفه، ربما من الفرح

هاربة نحو محيط الواقع العميق، أغرقُ دون حذاء أمل كحذاء سندريلا يستدلّ به أحدٌ عليّ.

فقط أختنق غرقاً في صمت مرير، وما يزالُ الحَذاءُ الأنيق يقبعُ بكلّ كبرياء على واجهة المحلّ الفخم، وهو يهمسُ اسمي.

طيفها الوسنان

بسام الطعان

يا لأفراحنا أنت وأنا يا (زينب) كم هي بعيدة ، يبدو أننا بحاجةَ إلى عشر سنوات ضوئية حتى نصل إليها ، ويا لأحزاننا التي أصبحت بعدد النجوم، ويا لأحلامنا التي لا تعرف الانتهاء.

كثيراً ما أحلم بك ، والبارحة تجديدا، حلمتُ بك حلما آخر، ويا لَه من حلم ، حملني في غيمة زرقاء، طار بي إليك ، خبأ رأسي في صدرك المخملي، شعور بالدفءَ غمرني، وصوتك الملائكيَ المزوج بنكهة الحب ، أخذني إلى لحظَة فرح في ليل طيب المذاق، ثم نسجني على ظهر حمامة خيطاً رفيعاً، وأخذني إلى أجواء بعيدة وغامضة ، وبقيت مسافراً و أنا أحلق معك في أشعة ملونة إلى أن أيقظني الضجيج القادم مَن الشارع .

لمَ سافرت يا زينب وتركت كل أقماري بلا وميض ؟ لمَ خبأت لي كل هذا الحزن؟ لمَ أبقيت لي وجع الليالي؟

هناك في البعيد أنت، وهنا الحسرة تقتلني في اليوم الواحد ألف مرة ، وربما ستقتلني حتى يوم القيامة..

كل ما في هذا القلب يهرول نحوك ولا يعرف التعب ، ومن أجلك وحدك ، سأقطع عشرة جبال وسبعة بحار ومحيط واحدَ لأصل إليك وأعود بك إلى مضارب عشيرتي حتى لو وجدتَ في طريقي غولة تأكل لحم البشر ، وعندها سأمنحك مملكة اللآلئ وإمارة الحنان وجمهورية الياسمين وإمبراطورية الحب وسأزرع في عينيك مليون حلم قابل للتحقيق.

قالوا لي بعدما سافرت: انساها.

قلت لهم:

. هي وليفة الروح ، منحت عمري عمرا، وطيفها الوسنان صار مهجتي فكيف أنساها؟

منذ غيابك وأنا أجرب الهروب من ذاكرتي، وأتعاطى كلَ ما يوحي لي بنسيانك ،ولكن دون جدوى.

ويا سوناتا القمر، مهما طال غيابك ، ستبقين عزيزةٌ في الحضور وفي الغياب ، في كل مرة أرى طيفك فأقول: "سبحان من ألبسك البهاء وسوّاك ".

ما زلت أهمس كل ليلة وحتى مطلع الشمس لطيفك المقيم في شراييني:

ما أجمل أن يكون للإنسان مكان يستريح فيه من تعب العمل والأرصفة الباردة حتى لو كان هذا المكان بحجم قلب، يا لقلبك الذي أحب أن أستريح فيه يا زينب.

مازلت أرى وجهك الحلو بين اشتهاء الزغاريد وبين غياب السنونو ومازلت أكلم كل المصابيح، وكل العصافير في ساحة القلب عنك وعن سحرك الأزلي وأستقبل الإلهام فيك .

ويا قمري البعيد، يا حلمي الوحيد، مازلت أحلم بك وليس بمقدوري أن أحيا بلا أحلام ، منذ زمنَ بعيد وأنت تسكنين ذاكرتي وذاكرتي عالم كبير، ما زلتُ كل ليلة أقبّل عينيك وأدعو الله أن يحفظهما لي ،ما زال صوتك يرن في أذني وكلماتك تأتي إلى قلبي فتهزه كشلال حب وتفتح عمري لهدير شوق يجرفني مرة بعد أخرى ، ما زال طعم قهوتك في فمي، ذلك الطعم الذي يشبه رائحة خديك، آه يا قمري البعيد كم باقات من الورد سأجمعها كي تهزم رائحة خديك .

في كل ليلة وحين يبزغ القمر ، أجلس وحيدا بصحبته، أناجيه ويناجيني، ولأنني دائما أرى صورتك مرسومة على قرصه اللامع، جعلته أفضل صديق لي، اختصرت فيه كل الليالي ،دائما أناديه ويمتدُّ ضوؤه ليلامس قلبي وروحي ، وفي كل مرة أجلس وأتأمله وأسافر في ضوئه إلى جزر بعيدة ومدن أجمل بكثير من مدن هذا العالم، مدن لا بشر فيها إلا أنت وأنا. ويا له من قمر،علمني أن أنسى وحدتي بَعد أن ألفته ولم يعد لي سواه.

كثيرا ما أتحدث إليه لساعات طويلة، فيتحول تدريجيا إلى طائر لامع وبهي، ويطير بي في أجواء صافية وبعيدة، وكثيرا ما يعيدني إلى أمنياتي الطفولية وأشيائي الصغيرة ويجعلني أشعر بسعادة منقطعة النظير كلما أمتد بصري إليه.

وآه يا زينب ، هل تذكرين حين همست لي مرة نستظل عند مرافئ الغسق:

. ماذا وجدت في حتى أحببتني؟

قلت وأنا أعانق ضحكات عينيك:

أروع ما فيك عطرك تسير فوقَ أمواجه مراكب أحلامنا وأحلى ما فيك ضحكك ترقص على أنغامه أجمل أيامنا..

عندئذ وضعت رأسك على صدري:

. صدرك قفص مَن الجمال والعذوبة وأنا حمامة عاشقة فيه.

ثم أضفت وأنت تبتسمين:

. ما ألذ النوم على صدر الحبيب.

دخلتُ حديقة وجهك الغنّاء :

مضت أيام وجاءت أيام وأنا أرى نساء كثيرات يشبهنك ، ولكن هل صورة الكرز تغني عن الكرز؟ وهل للزبيب طعم كما للعنب؟

والآن يا زينب وحيدٌ أنا على شواطئ عينيك ، سفني محطمة، وبحري خادعٌ ، كل لحظة تمر وأنت بعيدة عني يتحول نواح قلبي إلى ما يشبه نحيب الناي.

غيابك يدمّر القلب ، وصوتي الذي بح من شقشقة الحنين والممزوج بطعم الآه يعلو :

يا حلمي الشهي والملون ، يا بيتي المشيد في بريق النجوم اللقاء يحلو بك فتعالي وها أشدو تراتيل عشقي فلا تتأخري، تعالي كتلك الحمامة لأبادلك الهديل وأطير بك بعيداً بعيداً، كي لا أظل وحيداً وأبكي في هذا الدغل المشتعل من عمري، تعالي وأنا سأختصر أحلامي كلها في حبك، أختصر في عينيّ عمرك ولنبدأ من جديد، وها هي كل دروبي تنتظر مرورك البهي ، وكل أماكني تحن إليك، وعندها سنجلس بصحبة القمر، ونرسم على قرصه البديع في ليالي الصيف ،جبلا أخضر،قطرات ندى ،وعاشقان، أصابعهما تتعانق، وشفاههما تتناجيان.

تقاسيم على وتر جريح

محمد إبراهيم حمدان

بين الهوى.. والهوى كم طال إسرائي
وغردت في سماء العشق أهوائي!!
ورتلت آية الأشواق قافيتي
وفتقت رتقها الوردي أندائي
كم رواد العاصف المجنون أشرعتي
وأشفقت من شفيف البوح أنوائي
حتى تعبت.. وملَّ الكون أسئلتي
واسترجع القلب من عينيك أشلائي
أوصدت باب دمي الشادي على حلم
ورحتُ أمحو من الأطلال أسهائي
ما عدت أذكر من أطياف عاشقة
إلّا رماد هوىً.. أو بعض إغراء
ودعت جمر حكايات معتقةً
وعفت للريح أسراري وأنبائي
فالعشق في الزمن المسبي ثرثرة
والقلب عن كل أوزار الهوى نائي
أنا الجريح.. وحسبي أن لي وطناً
يغتاله الغدر من أهلٍ وأبناء
فكيف أهوى.. وقلبي نازفٌ.. ودمي
يسري به الجرح بين الداء.. والداء
×××
قلبي على وطن الدنيا وزينتها
وسورة الفتح بين الماء.. والماء
أبكي شموس حضارات.. وحاضرة
من فيض مجدٍ على التاريخ وضاء
أبكي السماحة في دينٍ وفي خلق
أودى بها أوغادٍ وأغداء
أبكي القيامة في مهد يعاودني
منه الحنين إلى علياء وعليائي
ما كان ربي ولا ديني ولا وطني
ثالوث حقدٍ.. ولا أنخاب بغضاء
هنا السماوات ألقت كل بارقة
فأشرقت بالسنا القدسي أنحائي
هنا الضياء تجلّى.. أحرفاً.. نغماً
فأشعلت شرفات الكون أضوائي
هنا الرسالات أوحت فارتقت أمم
معارج المجد من وحيي وإيحائي
هنا الشآم حنانٌ وارفٌ.. ويد
على الجميع بلا من.. وإيذاء
لم تغض يوماً على الأغلال قامتها
ولا اشترت شمم الدنيا بإغضاء
أتكفرون!! وقلبي ألف فاتحة
للعالمين.. وما بدلت آلائي
أنا دمشق.. سلوا التاريخ عن كرم
يعنُو له الجود بين الكرمِ.. والطائي
في كل أرضٍ شهدات وشاهدةٌ
ووارفات جنىً من بعض نعمائي
الهندُ بعض دمي.. والبعض أندلسي
والشمس من لغتي أو بعض أسمائي
أمي القضية.. والمجد التليد أبي
وليس من نسبي أبناء رقطاء
كفى ضلالاً بني الأعراب.. قد تعبت
حتى السماوات من جهلٍ وغوغاء
وضاقت الأرض والإسلام عن بدع
أوحى بها زيف أوهامٍ وأهواء
الكون يبدع والأعراب غافلة
إلا عن الرجس في أهل وأبناء
كم أمة فتقت رتق المحال هدى
ويخجل التيس من عرش الأجلاء
الغادرون.. وما في الغدر مكرمة
الحائضون بزور الرأي والرائي
منافقون كأن الله في دمهم
حوائل اللون في أوصال حرباء
أحياء موتى.. وموتى في الحياة.. فكم
تباً لموتى دمٍ في ثوب أحياء
×××
الشامُ تذبح بهتاناً على نصبٍ
من غدر شائنة من حقد أعداء
أفتى به العاهر المأفون معتقداً
وعند ليفني عن كل إفتاء
أقسمت بالشام.. والفتح المبين غدي
أن لا تضيع دماء من أحبائي
مهر الشآم دم أغلى.. فلا بردى
ماءٌ.. ولا دمنا يا شام من ماء
هي الشآم على أقدام عزتها
أضغاث أحلام هماز ومشاء
لا تعبد الشام إلا واحداً أحداً
جلت سجاياه عن غلٍّ وغلواء
تجوع.. تعرى.. ولم تأكل حرائرها
إن ضاقت الأرض والدنيا بأشداء
الله أكبر مازالت مآذنها
بالحب تصدح في صبح وإمساء
يتلو الصليب على وثقى أهلتها
أسرار قدس المهد في الإسراء
عزت على البغي والأغلال من أزل
ولا تباع بأشياءٍ.. وأشياء
مجد العروبة بوح في ضفائرها
والورد والمجد من أقداس فيحائي

الفجر الآخر

منال محمد يوسف

الفجر الآخر ينزف..
أتدرون ما هو شكل
شجرة الألم
عندما تباركها الأيام
وتسقيها من دمع قلبي؟
أتدرون ما شكلُ النجومِ المذبوحة؟
ما شكلُ الأحلام
عندما تتساقطُ مطراً أخضر
وأشتاقُ إليه
خريفاً أشقرَ الأنجم البرّاقة
وقناديلُ الوقت الجَريح
تتعثرُ بخطا المَواعيد الشقراء؟
أتدرون؟
ما شكلُ شجرة الألم
وخاصرةُ الفجر تنزف
بكاءَ يمطرهُ خبزُ الضّحكات
وتتصدعُ بزجاج الكلماتَ؟!
أتدرون لماذا يعشقُني الألمُ
وأحرفي نكراء؟!
ويهترئُ نهارُ الأمنيات
واحسرتاه على ربيع الدهر
على قصائدَ لم تمطرْها
خمرةً شفتاه..
واحسرتاه على شجرةِ ألمٍ
وفراشات حزينات
رسمتْ تعاريجَ الورد المشتاق
خريفاً زجاجيَّ اللغات
تبكيه عيناه
واحسرتاه..
على مجد تَبكيه شقراءُ القُبَل
أتدرون؟
بحقِّ خبزِ القصائد
وجفنُ الربيع لا يدري
أتدرون ما شكلُ شجرة الألم
عندما تباركُها الأيام؟!
وأخطو على الأشواك
حافيةَ الجراح
أخطو
وتراتيلَ الأمجاد الغائبة
وطفولةُ اللوز تشيب
ولا يشيب قمر الأشواق
أتدرون؟
كيف يدهشني الوقتُ
عندما يحملُ
جنائزيةَ الحروف المضاءة
ويضيءُ قصائدَ العبيرِ الوهّاج؟!
أتدرون؟
والفجرُ الآخرُ
ينزفُ مقلاً
ما شكلُ شجرة الألم
وخبزُ القصائدَ يغتالُني
أنجماً خضراء..
تضيءُ جنةَ المشاعر
ودنيا الحنّاء الفردوسي
أتدرون؟
ما لونُ الحكايا
التي شرّدتْ أحرفَها المقدّسة
وترّملَ جفنُ الربيع؟!
أتدرون؟
ما شكلُ مقهى القمرِ الأزرق
أهو دخانٌ إلهي
تلفظُهُ سجائرُ الأنجمِ الحالمة؟!
أهو الحبُّ
ولغةُ الفتون الحالم
نوافذُ المطرِ الأشقر
وشجرةُ الألَم
تطفئُ مجرّاتِ الرّوضِ الأشقر
وتباركُ ميلادي
وباركَها مجدُ الأيام؟!

مختـــارات من "الأســـــبوع الأدبي" قبل "1000" عدد

العدد / ٤٣١ / الخميس ٢٩ / أيلول ١٩٩٤ م – ٢٤ / ربيع الآخرة ١٤١٥هـ

صميم الشريف أديبٌ قبل كل شيء

• هزوان الوز

إنه أحد فرسان الخمسينات، تلك المرحلة التي أطلق عليها الناقد الدكتور حسام الخطيب:

- مرحلة القصة القصيرة بحق، حيث كتب فيها قصص مجموعتيه:

أنين الأرض - دمشق - ١٩٥٣.

عندما يجوع الأطفال - دمشق - ١٩٦١.

وفازت قصته "العتال" بالجائزة الأولى مسابقة صحيفة "النقاد" الدمشقية عام ١٩٥٢. وجاء في تقرير لجنة التحكيم الذي كتبه الأستاذ شاكر مصطفى) (قصة "العتال" الفائزة بالجائزة الثانية للأستاذ حسيب كيالي، تستقيان من منبع واحد في الوحي والعرض والروح، إنهما صرختا جوع من تلك الصرخات التي تعرفها جيداً الوجوه المعروقة والأزقة الموحلة، والغرف التي لا يدخلها النور إلا مع صرير الباب. فقد كتب القصة الأولى الأستاذ صميم الشريف وهي دون شك تسجل قفزة في إنتاجه القصصي، فلقد ربح الجائزة الثانية من مجلة "الأديب" اللبنانية منذ أعوام، وكان مزاحماً خطراً في مسابقة "النقاد" الماضية بقصته "العاهرة" وفوزه بالجائزة الأولى في هذه المسابقة يعني أنه على الطريق الصاعدة، وأنه يدفع ثمن هذا الفوز جهداً وثقافة ومراناً طويلاً).

وفي الأعداد التالية من صحيفة "النقاد" تناول الأستاذ منير سليمان القصص الفائزة بدراسة نقدية، نقتطف مما كتبه المقطع التالي: (قصة "العتال" تستند إلى فكرة اجتماعية عميقة هي إظهار العلاقات التي تربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وبيان ضعف هذه العلاقات وما تسببه من وضعيفة بين أبنائه النتيجة القاسية التي تنتهي إليها هذه العلاقات من فقر وجوع وبرد ومرض وموت، فهي بذلك قصة أخلاقية ذات مغزى بعيد وفكره عميقة، وهذا يجعلها تفضل قصبة "أمام القصر العدلي" وتمتاز عليها).

كما كتب الأستاذ محمد الدسوقي في معض رده على النقد الذي وجهه الأستاذ حنا مينة إلى القصص الفائزة، (الأستاذ حنا مينة يستبعد وجود مزاحمة في المهنة بين بطل القصة "أبو صياح" وبين عتال آخر اسمه "عبود" حتى ليخيل إلينا أن ليس في السوق سوى هذين العتالين، مع أن الحقيقة الحية أن في السوق مئات العتالين مثل عبود، ولكن ألا ترى يا أستاذ حنا أن وجود مئات العتالين في السوق لا يمنع مزاحمة بين اثنين منهما.. كما أن وجود عشرات من الدول الاستعمارية مثلاً لم يمنع وجود مزاحمة بين بريطانيا والولايات المتحدة فيما يتعلق بالسيطرة على الأسواق ومنابع المواد الأولية والنفط في العالم).

وفي مسابقة "النقاد" عام ١٩٥٣ للقصة القصيرة احتل الأستاذ صميم الشريف المركز الثالث عن قصته "بائع العرقسوس" وفاز بالمركز الأول الأستاذ مصطفى صبحي الحاج عن قصته "كل الرجال إلا هذا" والمركز الثاني للأستاذ سعيد حورانية عن قصته "الطفل يصرخ في الظلام" وأيضاً تناول الأستاذ منير سليمان القصص الفائزة بدراسة نقدية، فكتب حول قصة "بائع العرقسوس" ما يلي: (عالجت موضوعاً اجتماعياً من صلب الحياة الاجتماعية، وهو حياة هؤلاء الباعة الذين تضطرهم الحياة إلى معاناة كثير من الآلام وكثير من الجوع والحرمان، وفوق ذلك يتحملون اضطهاد أبناء المجتمع لهم ويقاسون كثيراً من السخرية اللاذعة ومن عبث الصبيان يلحقون بهم في الأزقة والحارات يشدونهم من ثيابهم، ويخطفون ما يحملون من أشياء لا تعدل بمجموعها ثمن الخبز الذي يسعون إلى شرائه، وأسلوبها جلي واضح بسيط، يطرق الأفكار، يطرق الأفكار التي يريد معالجتها مباشرة، ولا يلف ولا يدور ولا يعتمد على الفئات الأدبية الغنية، وهذا يضفي على القصة صفة الصدق والأمانة ويجعلها تنفذ بسرعة إلى قلب القارئ، وعقله، وهناك بعض الهفوات البسيطة التي تسلب هذه القصة بعض الروعة، وهي أن الكاتب جعل بائع العرقسوس يتحدث عن نفسه وعما يلاقيه من بؤس وشقاء، ويصف عبث الصبيان وتلهيهم بمشاكسته ويصف عناءه البالغ في النهار من أجل بيع العرقسوس لكان وقعها على النفس أعمق وأبلغ لأنه يكسبها الحركة، ويشيع فيها الحياة، ويجعلها أقرب إلى الحقيقة والواقع. وهناك هفوة أخرى، وهي أن بائع العرقسوس ولو أن الكاتب جعل هذه الحوادث تجري بطبيعتها دون أن يسردها بائع العرقسوس لم ير في المجتمع كله إنساناً يعطف عليه ويرق لحاله بل رأينا أبناء المجتمع كلهم نمور أو ثعالب تريد افتراسه، حيث حمله هذا إلى أن يسعى هو أيضاً إلى افتراس غيره فلما سرقوا له ما جمع من ثمن العرقسوس انقض من ناحيته على فقير أعمى فسلبه ما جمع بتسوله من نقود. والنهاية كانت تكون أجمل وأروع لو أن الفقير الأعمى استحث بعض المارة واستعان بهم على إعادة النقود، إذ ليس صحيحاً أن كل أبناء المجتمع ثعالب ونمور يعتدون على الفقراء ويسبونهم ثمن قوتهم وما يسدون به الرمق. وهكذا فإن قصة "بائع العرقسوس" الفائزة بالجائزة الثالثة تستحق أن تكون الأولى لأنها عالجت موضوعاً اجتماعياً خطيراً. وفندت هذا الموضوع بنفسه سهلة وتعبير واضح، وحرصت أن تواكب الحقيقة في الواقع ولا تبتعد عنها كثيراً).

في مجال المسرح، كتب الأستاذ صميم الشريف عدة مسرحيات - العامية، قدمت بعضها في الستينات والسبعينات على مسارح دمشق، نذكر منها:

حلاق زمان

الرسالة المفقودة

مين يحب مين

أنا وزوجاتي

كما كتب باللغة الفصحى المسرحيات التالية:

الإله يستعيد وديعته

المدينة الحجرية

وصميم الشريف في مسرحياته اتجه إلى التراث الشعبي لقناعته العميقة بضرورة هذا التوجه في تلك المرحلة من تاريخنا حيث الثقافة بدأت تعاني حالة احتضار لكثرة ما أصابها من دوار عبر رحلة الإبحار والتغرب والعزلة المخيفة التي أدت إلى هزيمتنا الحضارية وإلى انتكاسة المد الثوري والنضالي في الوطن العربي، وبرأي الكاتب أن ثقافتنا بصفة عامة والمسرحية على وجه الخصوص مطالبة الآن أكثر من أي وقت مضى بالعودة إلى التراث لتأصيل انتماء هذه الثقافة ولا تتم معضلة التأصيل، إلا حين تفوح رائحة تربة الوطن المبللة بعرق كدح الفقراء في نتاجاتنا الفكرية والفنية. وهو يوافق بريخت الذي لا يطالب بمسرح هادف بالمعنى المتعارف عليه، حيث تكون المسرحية عملية دعائية أو إعلامية عن فكرة معينة، بل يعتقد فقط أن على مؤلف المسرحية، وعلى جميع العاملين في تحقيقها.

أن يجتهدوا في وضع المشاهدين أمام مشاكلهم، التي هي مشاكل المجتمع حيث يعيشون، وأن يجعلوهم يغوصون في تأمل شبه عفوي لا يتوقف عند حدود تفسي العالم، بل يولد لديهم قراراً تلقائياً بتغيير العالم.

أما في أدب الرحلات فقد أصدر كتاباً بعنوان "كنت في قلب أوربا" وفيه تناول الفن القوطي والباروك وعصر النهضة والأمبيري من خلال عشرات القصور والقلاع التي يزيد عددها في تشيكوسلوفاكيا عن ألف قصر وثلاثة آلاف قلعة، وخاصة كاتدرائية سان جيل وقصر الملك كارل في براغ وحي المالا سترانا الذي يجمع بين كل هذه الفنون في تزاوج رائع على مدى تعاقب العصور، وقد خص الكتاب بوهيميا بجزء مستقل، وموارفيا بجزء آخر، وسلوفاكيا في قلب أوربا فعلاً.

مارس الأستاذ صميم الشريف مهنة التدريس لمادة الموسيقا من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٧٨ في مدارس دمشق ودور المعلمين ومعهد إعداد المدرسين، حيث كان قد انتسب إلى معهد أصدقاء الفنون بدمشق، وتلقى دروسه الموسيقية على يد البارون الروسي الأبيض بيلنغ، وأتقن العزف على التي الكيتار والماندولين وأمام الفراغ الكبير للمكتبة العربية من الكتب الموسيقية، انصرف الأساذ صميم الشريف للعمل في هذا المجال، فأصدر عام ١٩٥٤ كتاباً بعنوان "أساطين الموسيقا العالمية" وكان دافعاً لاهتمام الكثيرين بالموسيقا العالمية وروادها الأوائل ثم أصدر الكتب التالية:

الأغنية العربية - وزارة الثقافة - ١٩٨٠.

السنباطي وجيل العمالقة - دار طلاس - ١٩٨٧.

الموسيقا في سورية (تاريخ وأعلام) - وزارة الثقافة - ١٩٩١.

والجدير بالذكر، أن عمل الأستاذ صميم الشريف في الدراسات الموسيقية لم يصرفه نهائياً عن الأدب، ويمكن القول أن صميم الشريف أديب قبل كل شيء، لقد كان مطلعاً أوسع اطلاع على الطباع الشعبية، وعلى مختلف الأحداث والوقائع والمجريات، ففي الستينات والسبعينات كتب عملاً روائياً ضخماً في جزئين بعنوان "المياه العائمة" ونشر في فصوله بعض المجلات، تجري أحداث الرواية في مدينة دمشق في الأربعينات، ودمشق عند صميم الشريف ليست بيوت الحجارة والطين، وليست الحدائق والأشجار، ودمشق هي كل ذلك، هي الحب والعطاء والولادة، هي الإنسان والوطن.

والرواية لم تصدر حتى الآن لأسباب خارجة عن إرادة الكاتب، كما كتب في فترات متباعدة عدة قصص قصيرة، يزمع جمعها وإصدارها لتكون مجموعته القصصية الثالثة.

في قصصه عرى العلاقات الاجتماعية المتعفنة والضاغطة بكل قوتها على أنفاس الطبقات الفقيرة، كما وصف الشقاء والبؤس والجوع، وصور الأشياء البسيطة التي تقتحمها العين ولا تلمحها، فجعلها بارزة حية. وصدق التجربة والتصاقها بمفهوم الكادحين أعطى لقصصه بعدها الإنساني فكانت وثائق تاريخية المجتمع في فترة معينة، وثائق إنسانية صادقة تدعم أية دراسات اجتماعية أو تاريخية.

هو كاتب واقعي بالعموم وفق المفهوم الذي يطرحه استفان شويتر للواقعية التي هي (ليست مسألة شكل، ولا مسألة شكل معين من التعبير، فهي قادرة أن تتضمن في إمكانياتها اتجاهات أدبية - فنية مختلفة بما فيها السوريالية، وبالتالي فإن الواقعية لا تتحدد بالشكل أو بالمضمون بل بمقدرة العمل الفني على تملك الواقع).

أنطون مقدسي

• محمد أبو خضور

عرفته أستاذاً في الجامعة أيام الطلب، ودرست عنده بضعة أمشاج من الفلسفة اليونانية، وكان يطرح في دروسه عناوين محددة ولكنه كان يستطرد كثيراً مما يلقي علينا عبء الربط والمقارنة فيما بعد. ولعل هذه الخاصية، خاصيته عرض الرأي والرأي الآخر عمقت فينا حب الجدل لا السفسطة التي كان يكرهها ويحذرنا منها.

كان دقيقاً في اختيار المصطلح وترجمته ولذلك كان الخوف يرافقنا عندما يعهد إلى أي واحد منا كتابة موضوع أسبوعي أو شهري فالعبارات حدود "كما يقول دائماً".

له رأي صائب في أن التحليل النفسي أفقد النفس وجودها وعندما كنا ننقل رأيه هذا إلى الدكتور المرحوم سامي الدروبي أستاذنا في علم النفس التطبيقي كان يبتسم ويقول احصروا أسئلتكم لأستاذنا مقدسي في الصورة والعدم والجدل كي تستفيدوا وتفيدوا.

وفي السنوات الأخيرة أدلى برأي صائب آخر هو أن التحليل البنيوي بشكليه العادي والمتطرف أفقد الأدب أدبيته!

والأستاذ مقدسي له رأي في الفكر العربي وهو أنه مازال يرسخ تحت أثقال العشائرية ومنظومات الدائرة السحرية والأسطورية، وأنه لابد لمشروع ثقافي عربي للخلاص من هذه الدائرة.

وبالنسبة للرواية فهو يؤكد أن كل رواية إنما تعكس التبدلات الاجتماعية والاقتصادية لمجتمعها وهو بهذا الرأي يؤكد بشكل غير مباشر الطروحات القائلة بأن الرواية العربية خرجت منذ زمن بعيد عن إطار الهيمنة الغربية.

كما أرسى قواعد جيدة في توضيح معاني ومفاهيم الحداثة في الشعر والمسرح والموسيقى في مقابلته الطويلة لمجلة "مواقف" والأستاذ مقدسي لم يجمع ما كتب وما نشر حتى الآن، رغم أنه كتب ونشر كثيراً في جميع المجالات الثقافية والفكرية وباللغتين العربية والفرنسية كما أشرف على ترجمة عديد من الكتب الهامة التي تناولت الفكرية في جميع مناحيه وخاصة عن الفرنسية وذلك في نطاق عمله وإشرافه في مديرينة التأليف والترجمة في وزارة الثقافة.

والجدير بالذكر أن وزارة التربية طبعت له كتابين تعليميين في منهاج الدراسة الثانوية - مادة الفلسفة - وهما مقرران الآن.

وهما لا شك يضعان أساساً قوياً في إعادة الاعتبار لهذه المادة ويخلانها ضمن المنهاج التدريسي محلها الصحيح لما يزرعان في عقول الأجيال الناشئة أسس ومناهج التفكير المنطقي والمعالجة العلمية لأية ظاهرة أو قضية ويشكلان نقلة هامة من منطق الأسطورة إلى منطق العلم.

والأستاذ مقدسي هو عضو في المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب ويرأس تحرير مجلة الآداب الأجنبية الصادرة عن الاتحاد ورغم تقدمه في السن فما زال شاباً في فكره وما زلنا نتعلم منه.

غيومٌ في نهارٍ حارّ

• أحمد جميل الحسن

رياح هوجاء، تضرب بشدّة سفوح الجبال،فتوقظ العصافير من أعشاشها العالية.

تتسلل خيوط الشمس المتثائبة على استحياء من بين القطع الرمادية الكبيرة، فتمزقها. غيمة أبت إلا أن تفرد أجنحتها على امتداد أفق بعيد.

يحلّق على أجنحة طائر أسطوري. تتراءى الأرض بحلتها الخضراء، وغزة تقبع وسطها،يبذل قصارى جهده كي يبقى فوقها، يناور، يغير، يُحلّق من جديد، يبحث عن مكان يحطُّ فيه، يتوسد حشائشه، يشم رائحتها الندية، يسلم جسده لأغصانها، يستمتع بدفئها.

فجأة، يرتفع فوق الغيوم المتلاحمة، والريح تعوي بانفعال، وتهوي به إلى الأسفل ويحط على الأرض، تطوقه نسمات شرقية وتعبث بشعره الأشعث.

حاول أن يطرد الإغفاءة القسرية التي استخلصت منه يقظته، مرهق، وكلّما حاولت عيناه أن تشق الظلام، تطبق وكأنها في سبات عميق، أو في إغماءة. أخيراً استطاع أن يفتحها بصعوبة بالغة دون أن يلقي بالاً للورم المحيط بجفنيه.

استدار برأسه دورة كاملة، كان الرداء الأخضر يتماوج منبسطاً، ويعلو في هستيريا سكرى من خمر تمّوز، لاحت له "بيت لاهيا" عروساً متباهية في ربوتها.

مدّ ذراعيه، وحرّك قدميه رفعهما ثم أخفضهما، أيقن وقتها انه ليس فوق الغيم ولا هو على جناح طائر أسطوري ولا يوجد غيوم أصلاً، إنه يفترش الأرض تنعشه رائحة تربتها، يغفو في حضنها فتشدّه بحنان.

تناهبت خلايا مخّه الذكريات، لكن فجأة وجد نفسه أمام الانفجارات والبارود والأشلاء والصرخات المستغيثة التي خلّفها وراءه.

هو يدرك أين هو الآن، لكن ما يدخل الريب إلى قلبه هذا الهدوء المخيف الذي جعل من أشعة الشمس سيداً للموقف.

تلفت حوله جالت عيناه في التلال و المنحدرات والأسلاك الشائكة، فجأة قفزت إلى مخيلته البندقية والقاذف والرفاق، أين هم ؟ ماذا حدث لماذا هم ليس معه ؟ كيف وصل وحده إلى هنا وكانوا سوياً.

أحس بمطارق تضرب برأسه وانفجارات هائلة تصم أذنيه، أطبقت يداه على أذنيه، صرخ ركل الأرض عدّة مرّات بقدميه، أين هم ؟ ماذا حلّ بهم ؟ لماذا أنا هنا وحيد؟

شعر بظمأ شديد، استطلع المكان حوله،تراءى له من البعيد طيوراً تغير على مكان تغيب هنيهة ثمّ تحلق فرادى. حاول النهوض لكن الأرض شدّته بقوة.

عاودته المطارق وزغللات العينين ورهبة الصمت في فساحة المكان وتغيّب البشر، والظمأ الشديد.

العصافيروحدها تشعره أنه على أرضٍ فيها حياة.

نهض بصعوبة، وظمأه يدفعه عنوة نحو العصافير، جرجر قدميه متعثراً متحدياً الصمت وهدير رأسه المخيف، وأحلام النهار الحار.

قطب حاجبيه تمتمت شفتيه ببله : " قد تكون معركة وقعت وكنت أشارك فيها، نعم أكاد أتذكر ذلك، فأنا كنت أحمل سلاحاً، لكن أين هو ؟ وكان معي رفاق أين هم ؟ "

خط طويل من الدخان بان في الأفق، تتقدمه كتلة نارية، دوي انفجار جعله يضرب على رأسه ويرتمي على الأرض بقوة يتدحرج عليها كمن أصابه مس، لف حول نفسه عدّة مرات، جلس،ودفعة واحدة ارتسم أمام عينيه حسن ومحمد وعلي وسلمان، المعسكر،وبرج المراقبة، الدبابات، ناقلات الجنود، وخوذ قاتمة خضراء وشبان يحملون كتباً سميكة ذات أغلفة سوداء، يقرءون منها على مقدمة مجنزرات وصواريخ تحمل كتابات غريبة كتبت ارتسم أسفلها العلم الأمريكي.

" يا ألله كان هذا في الفجر ولكن الوقت قارب الآن العصر " تكلم الرجل بما يشبه الهذيان.

كان قد اجتاز مع رفاقه الأسلاك الشائكة واقتحموا الموقع المحصن أطلقوا النار بغزارة قتلوا ودمّروا، يذكر أن انفجاراً ضخماً أصم أذنيه ودخاناً كثيفاً حجب الرؤية، لا يذكر بعدها ماذا جرى.

تابع سيره بتباطؤ فالإنهاك أخذ منه مأخذه، لكن يجب أن يستمر في المسير كي يصل الماء.

يسمع هدير طائرة استباحة الفضاء فأفزعت العصافير المنتشية، احتضن الأرض. اسند رأسه على ذقنه وراح ينظر أمامه بينما كانت الطائرة تجول في الفضاء. حدّق ملياً في التّلة الخضراء البعيدة، وقد بدا على قمتها أجسام كبيرة تتحرك، ها هو يرى مدفع الدبابة وقد برز كلياً تحت أشعة الشمس، تدفعه ببطء وكأنها خائفة تنتظر حدثاً ما،تذكر الرفاق واللّهب الحارق ينطلق من قواذفهم. غابت الطائرة وغاصت في الحد الفاصل بين الأرض والسماء غرباً ، عاد السكون إلى المكان، والصمت المخيف خيّم في الأفق.

نهض، عندما عاودت العصافير الإغارة بخوف وترقب.

هل سيصل إلى الماء قبل أن يكتشف العدو أمره.

يجب أن يطفأ لهيب هذا الظمأ الآن وبعدها يفكر ماذا يفعل.

كان يسير والأفكار تتجاذبه، سيشرب الماء، ومن ثمّ سيرقد في مكان حتّى يحل الظلام وبعدها سينسحب إلى موقع القيادة بيسر، فالشمس اجتازت العصر بقليل وبدأت تزحف ببطء نحو المغيب.

" امشي كيفما تشاء، واجلس حيث تشاء، فالشمس لا تحمل سلاحاً حتّى تقتلك، أنت في أرضك وحيثما ولّيت وجهك تجدها.

تسير إلى أين ؟ وتجلس أين ؟ والعدو يتربص، والعتمة القادمة لم تَطِلُّ بعد، وعطشك يكاد يشل قدرتك على السّير، اسمع هسيس السكون يدغدغك يا "وعد" ورائحة الأرض تنعش صدرك، سريت قبل الفجر ولم تعد تر الرفاق، وحارت ذاكرتك بين الفجر والعصر، بين أسير لفظ أنفاسه الأخيرة بيد سلمان وعلي، ودبابة محترقة تفوح منها رائحة لحم بشري، ودماء زرقاء تراشقت في كل الاتجاهات، وحدك تهت يا وعد وتقاذفتك الانفجارات المرتبكة، أبعدتك الرصاصات الخائفة المرتجفة، زحفت، عدوت،انبطحت، تدحرجت، أدركت أن سلاحك نفدت ذخيرته وأنه أصبح عبء عليك، وأنك أضعت طريق رفاقك مع الفجر، وأنهكك المسير"

اقترب كثيراً من الماء، صار صوت زقزقة العصافير أكثر وضوحاً، وبدت له صفحة الماء صافية إلا من دوائر صغيرة جداً تحدثها المناقير الصغيرة، استسلم لنشوة هدهدت ظمأه.

هدرت الطائرات وأزّ الرصاص، ارتمى على الأرض شعر ببرودة شديدة في صدره، تحسسه غابت يده في جدول أحمر، هامت به الدنيا أطبقت الظلمة على عينيه، يشعر بالغثيان كلّما حاول فتحها، استكان قليلاً ويده على صدره.

رشقات كثيفة من الصواريخ تخترق الأفق من الجنوب إلى الشمال، تبعتها صليات رشاشات غطّت سماء المكان، أجبره دوي انفجار هائل أن يستيقظ ويفتح عينيه بصعوبة، جسده ممدد على الأرض تحتضنه كابن عاد إليها بعد ضياع، زحف قليلاً نحو الماء، أوقفه النزف، حدّق ملياً رأى مزق العصافير متناثرة حول بركة الماء الصغيرة، نظر إلى السماء أبصر القرص البرتقالي، مازال يضيء السماء، ابتسم همس قبل أن يسبل جفونه : لم تغب الشمس بعد.

«جلجامش ملكاً» مسرحية جديدة لنصر اليوسف

ضمن سلسلة المسرح من إصدارات اتحاد الكتاب العرب صدرت مسرحية (جلجامش ملكاً) لنصر اليوسف.

يقدم سياق هذه المسرحية تحليلاً لنمطية تفكير السوريين الحضارية منذ ما يداني ستة آلاف عام، ومع أن المسرحية تبدو ملتصقة بالحدث العام لملحة جلجامش غير أنها تشكل وجهة نظر مستنبطة من عمق الحضارة السورية وروحها العامة ككل، وخصوصاً فيما يتعلق بسبب ونتيجة خلق إنكيدو المنافس لجلجامش، هذا الخلق وما أعقبه من أخذ ورد بين الشخصيتين وهو ما يشكل لب المسرحية وجوهرها.

صورة من الذاكرة

لقطة تجمع الأديبين الكبيرين نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم في خمسينيات القرن الماضي

تنويه واعتذار

سقط سهواً في العدد /١٤٢٨/ من «الأسبوع الأدبي» المقطع الأخير من قصة (مريم) للزميل الأديب حسام الدين خضور، والذي جاء فيه:

- في مركز ثقافي.
- رواد المراكز الثقافية قلة.
- هذه النشاطات تصنع لها جمهوراً. قضايا الناس تشغل الناس وتجتذب الناس.
- أنت رائعة. أنا أعاني من الملل.
- ليس أنت. لا أفهم أن يعاني فنان في مثل ظروفنا من الملل؛ حيث يتطلع هناك موضوع.
- يبدو أن الفنان بحاجة إلى ملاك.

ابتسمت مريم. قالت: الفنان بحاجة إلى الناس. لا تزعل، وهم بحاجة إليه.

- بعفوية قلت: "أنت الناس."

بلهجة جادة قالت: "أنا مريم. هيا إلى العمل."

فالمعذرة من الزميل الكاتب ومن السادة القراء...

دعوة

إلى السادة الكتاب الباحثين والمترجمين المحترمين:

تنوي مجلة (الآداب العالمية) نشر ملف عن «الأدب الفرنسي المعاصر» في عددها المزدوج (١٦١ ـ ١٦٢) صيف ـ خريف عام ٢٠١٥.

يرجى ممن يرغب بالمشاركة في الملف المذكور إرسال المواد مشفوعة بالأصل الأجنبي (في حال كانت المادة مترجمة) على البريد الإلكتروني التالي:

Aru@.sy

أو على العنوان البريدي:

دمشق ـ أوتوستراد المزة ـ مقابل قصر العدل ـ ص. ص ٣٢٣٠

ثقافة الشباب /ص٢

الاجتماعية العامة، حيث يكون من الأهمية اطلاع الشباب على الجوانب المضيئة من تراث مجتمعهم وأمتهم، وتعريفهم بكنوز الثقافة الوطنية والقومية، بما يسهم في تنمية مشاعر الانتماء للوطن والاعتزاز بتراثه الحضاري / الثقافي، الذي أسهم في صنع الحضارة الإنسانية عبر التفاعل المتبادل مع الثقافات الأخرى. وهذا يستدعي الدقيق في البنى الثقافية القائمة وتقويمها، وتصحيح المفهومات والقيم، وأنماط الحياة التي لا تتناسب مع روح العصر ومعطياته الحضارية، مع الحفاظ على أصالة الهوية الثقافية.

إنّ ما يشهده عالم اليوم من تفجّر علمي وتراكم معرفي، يحتم على الإنسان أن يكون في حركة دائمة لتجديد البنى الثقافية التي يمارس نشاطاته الحياتية في إطارها، بحيث يتمكّن من مواجهة التطوّر الثقافي المتسارع ومواكبته والتفاعل معه. وهذا يقتضي أن تكون ثقافة الشباب أكثر استجابة لهذا التطوّر، بحيث تنمو في مناخ سليم وتربة خصبة، وتتكامل مع الفروع الثقافية الأخرى في إطار المضمونات الثقافية (المادية والروحية) التي يعتزّ بها المجتمع.

يقول / أرنست كاسيرر / « إنّ علاقة الثقافة بالوجود الإنساني، ليست صيغاً تظهر في حقيقة مستقلّة للنفس الإنسانية، وإنّما هي طرائق تتّجه النفس الإنسانية من خلالها نحو موضوعيتها، أي تجلياتها «. وبذلك تستطيع الثقافة أن تجدّد الإنسان من الجوانب العقلية والروحية والنفسيّة، وبما ينعكس على حياته الاجتماعية، ومواجهة المظاهر الفكرية الانهزامية، وأشكال الرواسب الاجتماعية التقليدية. وهذا ما يجب أن تفعله الثقافة الشبابية، في توعية أجيال الشباب وحمل لواء الإنسان المبدع، المتحرّر من عقد الخوف والوهم، والتشتت الفكري والتشويه الثقافي.

وهذا يتطلّب الاهتمام بكتب الشباب شكلاً ومضمونا، وتطوير صحافة الشباب كمّاً ونوعاً، وتفعيل توظيف البرامج الشبابية في الإذاعة والتلفزيون، بحيث يشترك الشباب في إعدادها وتقديمها، إضافة إلى زيادة الاهتمام بالندوات والمسابقات واللقاءات الثقافية الشبابية الهادفة. وبذلك يمكن تحصين شبابنا ضدّ الثقافات الوافدة/المشوّهة، والدعوات الفكرية المعادية التي تستهدف النيل من وجودنا وتاريخنا الحضاري، وتنقلهم بالتالي من حالة السلبية واللامبالاة، إلى المشاركة الفاعلة في عمليات التحرّر الفكري والتقدّم الاجتماعي. وهذه مهمّة ملحّة أمام جميع المعنيين في التعامل مع ثقافة الشباب ورعايتهم وتربيتهم..!

الأسبوع الأدبي

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000ل.س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:

- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني aru@tarassul.sy
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

(من حديث الشعر)

جديد الأديبة الدكتورة نجاح العطار

ضمن منشورات وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب للعام ٢٠١٥م صدر كتاب جديد للأديبة الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية العربية السورية حمل عنوان (من حديث الشعر) رصدت فيه التجارب الأدبية المتميزة لعدد من الشعراء الذين تألموا مع شعوبهم وتجاوزوا ما ألم بهم من محن حباً بأوطانهم إضافة إلى مقاربات فكرية علقت خلالها الأديبة والباحثة الدكتورة نجاح العطار على نتاجات هؤلاء الشعراء بأسلوب أدبي رفيع المستوى يسمو إلى فضاءات الشعوروربما يتخطاه..

حاكت وقابلت الأديبة الدكتورة نجاح العطار في هذا الكتاب بعض الشعراء الذين انتقتهم من خلال اعتمادها على التحليل النفسي الاجتماعي فكان الشعراء المنتقون حقلاً لاستقرائها لمعالم صورة المكان وما تحمله من قيم دلالية أكثر التصاقاً بالمجتمع انعكست في نمطها التعبيري فرصدت تحولات هؤلاء الشعراء الذين كانوا يعيشون بين أهليهم وناسهم ، وأوطانهم أو بعيداً عنها.

ويتجلى من خلال صفحات الكتاب الجهد الكبير الذي بذلته السيدة الدكتورة العطار في رصد ملامح حياة باقة واسعة الطيف من الشعراء ومسيرتهم الإبداعية، وهم: خير الدين الزركلي- وصفي القرنفلي- بدوي الجبل-محمد مهدي الجواهري- الياس أبو شبكة- مصطفى جمال الدين- أمين نخلة- عمر أبو ريشة- محمد كامل صالح- ناظم حكمت- خوسيه مارتي- بابلو نيرودا- سفيق معلوف- سليمان العيسى- عبد الله يوركي حلاق- عبد الله غانم- أحمد فؤاد نجم- معين بسيسو- أبو سلمى- بلند الحيدري- عبد الوهاب البياتي.

ويأتي هذا الكتاب الهام ليشكل إضافة هامة في حقل نقد الشعر، وإضافة نوعية إلى قائمة الكتب التي قدمتها الأديبة الكبيرة السيدة الدكتورة نجاح العطار ضمن إبداعاتها لتكون رصيداً هاماً ومتميزاً في المكتبة العربية...

(قناديل- أدباء من عصر التنوير)

كتاب جديد للدكتور اسكندر لوقا

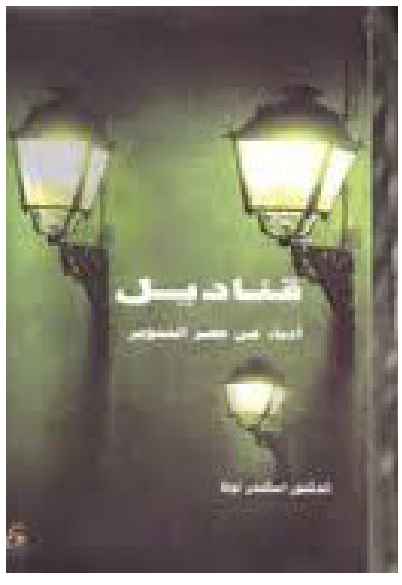

ضمن إصدارات دار الشرق للطباعة والنشر صدر كتاب جديد للدكتور اسكندر لوقا حمل عنوان (قناديل- أدباء من عصر التنوير).

يقدم الكتاب صورة متعددة الأبعاد لمجموعة من الشخصيات الأدبية والفكرية البارزة من سورية ومن بلدان عربية أخرى، شخصيات شكلت نقاط علاّم مضيئة في مسيرة بناء النهضة العربية، فكان حضور هؤلاء العمالقة بمثابة قناديل أضاءت مساحات كبيرة من العتمة والظلال..

كتاب هام صدر في توقيت هام واستثنائي، حيث يعاني الشباب العربي ما يعانيه من تصدعات في النفس والعقل والكيان والوجود والهوية، ولعل الصفحات المشرقة التي بذل الدكتور اسكندر لوقا جهداً كبيراً وملحوظاً في جمع خيوطها وإحداثياتها، تكون خير دليلٍ لهذه الشريحة المستهدفة للأخذ بيدها إلى نور الفكر والمعرفة والحقيقة..

(تراجيديا الثقافة العربية)

دراسة جديدة للباحث د. مازن عرفة

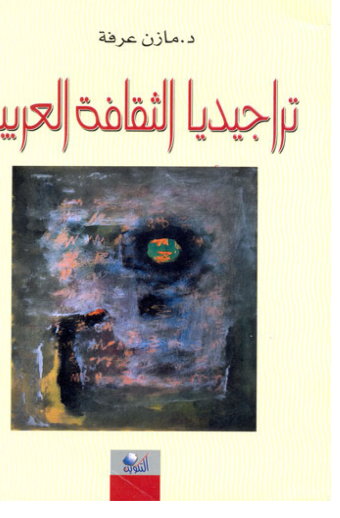

عن دار التكوين صدرت دراسة جديدة للباحث الدكتور مازن عرفة بعنوان ((تراجيديا الثقافة العربية)).

ويعدّ هذا الكتاب محاولة جريئة لمقاربة إشكاليات المشهد الثقافي العربي من خلال أزمة القراءة والكتابة في العالم العربي، وقد اعتمد فيه الباحث على أسس علمية مستمدّة من تخصصه في علم الكتاب كأداة اتصال اجتماعي، حيث يسلط د. مازن عرفة الضوء على حقيقة هامة تتمثل في أن انحدار الفعل الثقافي إلى نوع من الركود العام وضعف تلقيه شعبياً، وبشكل خاص سقوطه في التبعيّة لرأس المال النفطي والرسمي كان من أهم أسباب الانهيارات السياسية في الوطن العربي التي انهالت عليه منذ نهاية القرن الماضي.

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداء من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول: د.حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب
مدير التحرير: باسم عبدو

رئيس التحرير: د.نزار بني المرجة
المدير الفني: نضال فهيم عيسى
مشاركة في الإخراج: مها حسن

هيئة التحرير:
علي المزعل - توفيق أحمد
عدنان كنفاني - د. ممدوح أبوالوي
مراد كاسوحة - سوزان إبراهيم

كلمات

• نزار بني المرجة

الثامن من آذار

.. الجمر يزداد توهجّاً

اثنان وخمسون عاماً، وشعلة البعث مضيئة..

تعرّضت ثورة الثامن من آذار منذ انطلاقتها في العام ١٩٦٣، إلى هزّات عنيفة تريد إطفاء جذوتها، وهذا ليس بالمستغرب، لأن أعداء نهوض الأمة موجودون في الداخل.. وفي الخارج أكثر!

وفي العديد من الجولات.. كانت إرادة جماهيرها هي الأقوى، ولتثبت أنها الجديرة بقيادة مجريات الأمور في الميدان، بالتحالف مع القوى الوطنية الوحدوية والتقدمية، وليبقى لسورية وجهها العربي التقدمي المضيء، ودورها المحوري على الساحة الإقليمية والدولية..

وما شهدته المنطقة وشهده العالم منذ قيام الحركة التصحيحية في العام ١٩٧٠ بقيادة القائد المؤسس حافظ الأسد، يؤكد هذه الحقيقة، وما تعرضت له سورية من ضغوطات واعتداءات صهيونية وغربية لتحجيم الدور السوري والنيل من إرادة وتطلعات البعث وجماهيره..، لم يكن خافياً على أحد، والاستهداف والعدوان الواسع الذي تتعرض له سورية منذ أربع سنوات، عبر معظم حدودها مع الجوار، لم يعد خافياً على كل ذي بصر أو بصيرة..، وبات واضحاً أن هذا العدوان الشرس غير المسبوق بحق أية دولة ذات سيادة من دول العالم، لم يكن له إلا هدف واحد وهو اجتثاث جذور البعث بالقوة، وتفتيت الدولة السورية وتدمير جيشنا العربي السوري المؤمن بعقيدة البعث، وتمزيق وإنهاء اللحمة الوطنية الفريدة لشعبنا العربي السوري..

واليوم ومع حلول الذكرى الثانية والخمسين لانطلاقة شرارة ثورة البعث العربي الاشتراكي، يقف شعبنا وجيشنا وحزبنا بقواعده وقيادته شامخاً، ورايته خفاقة، وهو يسطر انتصاراته في ميادين المواجهة على الجبهات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والديبلوماسية، ليعلن للملأ وللعالم أن جمر ثورة البعث لن ينطفئ ولن يخبو له أوار..

وأن البعث ونظريته القومية هي الدواء والعلاج الناجع لما تعاني منه الأمّة من ويلات وخراب ودمار، من أقصاها إلى أقصاها بعد أن ارتضى الكثير من العرب أن تكون أوطانهم حقول اختبار لاعتداءات خارجية وإرهابية سافرة، تحت شعارات الإسلام السياسي وما جرى ويجري اليوم من ممارسات إرهابية لـ (داعش) وأخواتها على امتداد مساحات عربية واسعة من مشرق الوطن إلى مغربه، يثبت للقاصي والداني، ضرورة العودة للتمسك بالمشروع القومي الذي نادى وناضل من أجله البعث منذ عشرات السنين، لأنه المشروع الوحيد الكفيل باستعادة هيبة الأمّة والحفاظ على وجودها وهويتها في وجه أعتى وأشرس هجمة إرهابية همجية تتعرض لها أمة من الأمم في التاريخ!..

واليوم وسورية ماضية في تسجيل انتصاراتها في ميادين المواجهة..، يبرز السؤال:

ـ هل يعي العرب الآخرون الحجم الهائل للمؤامرة.. وهل يستيقظون من سباتهم الطويل؟!